الأحلام المزعجة

تأليف

متري أمين

الكتاب: الأحلام المزعجة

الكاتب: متري أمين

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www.bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

أمين، متري

الأحلام المزعجة / متري أمين

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٠٩ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٣ – ١٠٨ – ٩٩١- ٩٧٧- ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٢٣٦٢ / ٢٠٢١

الأحلام المزعجة



مقدمة

لا أظن أو واحدًا منا لم يصادفه حلم مزعج واحد على الأقل طوال حياته، فيقوم مذعورًا من نومه ويأخذه العجب لما رآه في حلمه من هراء أو ما سببه له الحلم من فزع وما يكون قد نطق به من ألفاظ في بعض الأحيان، وكثيرًا ما يتكرر الحلم المفزع بعينه مرارًا وتكرارًا ولا يدري الحالم لذلك سببًا، ولكن علماء النفس التحليلي والمحللين النفسيين يعتمدون إلى درجة كبيرة جدًا على الأحلام بأنواعها سواء العادية منها أو المفزعة المزعجة – أقول يعتمد هؤلاء المحللون عليها باعتبارها مفاتيح عقد مجهولة مترسبة في اللاشعور، ويمكن بواسطتها حل هذه العقد والتسرب إلى داخلية النفوس لتخليصها من الانفعالات المكبوتة ولإظهار الرغبات غير المحققة.

وفي هذا الكتاب عدد من حالات الأحلام المزعجة عولجت بطريقة البحث العلمي لكي تصل في النهاية إلى نتيجة واحدة وهي أن الحلم المزعج إذا ما فحص فحصًا كاملًا وحلل إلى عناصره الدقيقة فإننا لابد واصلون إلى أن الحلم إن هو إلا محاولة من جهة النائم أو الحالم أو عقله للوصول إلى تحقيق رغبة ما.

وبدراسة هذه الحالات من الأحلام المزعجة يمكننا أن نربي أطفالنا بطريقة عادية بعيدة عن الشذوذ الذي يسبب الأحلام المزعجة في

حياتهم المستقبلة – فيجب أن يكون رائدنا جميعا، آباء ومربين، العناية التامة بالسنوات الأولى من حياة أطفالنا، ولذا كان من اللازم ألا يوكل أمر الأطفال في هذه المرحلة المبكرة من الحياة إلى من تنقصهم الخبرة والكفاية والتجربة من مدرسين ومربيات وأطباء بل وآباء وأمهات، ففي سني التكوين هذه، السنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة من الحياة، يشبه الطفل عادة بالصلصال اللين الذي يمكن تشكيله، بينما الشخص البالغ يشبه نفس هذا الصلصال بعد جفافه وصلابته بفعل الشمس أو بوضعه في أفران، وصحيح أنه يمكننا أن ندرب البالغين على القيام بأعمال مختلفة ولكن صحيح أيضًا بل وقاعدة موثوق بصحتها أنه كلما ازداد سن البالغ كلما كان تدريبه أكثر صعوبة، بل من المؤكد أنه في سني التكوين هذه توضع الخطوط العريضة التي تتكون منها شخصية البالغ.

فإذا سبب سلوك أطفالنا سرورنا أو قلقنا، أو إذا ما شبوا اجتماعيين أو أعداء للمجتمع؛ فإنه يتعين علينا أن نرجع بالبحث إلى سني التكوين الأولى وما اصطحابها من حوادث، ففي هذه وتلك كل تفسير وتوضيح وفي الكتاب بعض الحالات التي تثبت صحة هذه النظرية.

وهناك حالة مفصلة لحلم مزعج بطلته طفلة كان لحسن حظها أن المحلل النفسي يعرفها ويعرف عائلتها وجميع الظروف المحيطة لهم جميعا، مما سبب الحلم المزعج وسبب أكثر من هذا تكراره من وقت إلى آخر في مرحلة من حياتها كان يجب أن تسعد فيها بالنمو والمرح

بعيدًا عن الانزعاج الذي أفسد عليها حياتها، فلو أن الطفلة كانت في رعاية من يدري ما يدور حواليها تمامًا، لما تعرضت الطفلة للبؤس والمشاكل التي عانت منها الكثير.

فأم الطفلة كانت امرأة ذكاؤها فوق المتوسط ولكن كان ينقصها الإلمام بالظروف التي أحاطت بطفلتها نقصا "تاما"– وللأسف فإن معظم الآباء والأمهات والمدرسين والمدرسات معرضون لمثل هذا الموقف.

ولقد رأيت أن أبدأ الكتاب بفصل مختصر عن الأحلام العادية معناها، وهل في الإمكان تفسيرها وذلك قبل أن نغوص في الأحلام المزعجة.

ونرجو أن نفيد جميعا من ذكر هذه الحالات للعناية بأطفالنا، فهم رجال الغد ونساؤه، عماد الوطن العربي، والذكرى تنفع المؤمنين، وفقنا الله جميعا لما فيه خير البلاد.

الإسكندرية في مايو ١٩٦١

متري أمين

الفصل الأَول

تفسير الأحلام

أعتقد أن الكثيرين سيلقون هذا الكتاب جانبا إذا ما وقع بصرهم على هذا العنوان، وهؤلاء هم الذين لا يميلون بطبيعتهم إلا إلى الواقعي من الأشياء، ولذا هم لا يطيقون صبرًا على قراءة ما ينافي طبائعهم، وفي الحق ليس هناك شيء أقل واقعية من الأحلام أو أبعد وأنأى ملمسا من محاولة تفسيرها– بينما الباقون تجذبهم كلمة الأحلام، ولرنينها في آذانهم معنى خاص، وتتأثر أحوالهم وتصرفاتهم طوال اليوم نتيجة حلم قوي ذي تأثير انفعالي فهم يشعرون أن للأحلام معنى خاص بها، وأنها تأتي من مكان ما وأنها لا يمكن أن تحدث من غير ما سبب أو غرض معين.

ويذهبون إلى أبعد من هذا ويعتقدون أنها يمكن أن تخبر عن المستقبل وتنبئ به، فقد يؤجلون سفراتهم أو رحلاتهم بل وأعمالهم أحيانا بسبب حلم خاص رأوه أو تفسير معين وضعوه له.

فالأحلام إذن لابد لها من معنى خاص هو الذي نحاول الآن بيانه هنا.

فكثيرًا ما يقابل الإنسان في الأحلام معان لا يمسها الخطأ، فمثلا لوحظ أن الرجال الذين كانوا يقومون برحلات استكشافية في الأقطاب- نظرا لما كانوا يلاقونه من أنواع الحرمان- كانوا يتمتعون في أحلامهم بأكلات شهية في مطاعم كبيرة معروفة لديهم بل ومن أحب الأمكنة إليهم.

وكثيرا ما يحدث مع الأطفال أن يحلموا في الليلة التي يحرمون فيها من الذهاب إلى السنيما أو المسرح أو حديقة الحيوان- أقول يحلم هؤلاء الأطفال أنهم ذهبوا وتلذذوا بمشاهدة المناظر المثيرة أو الروايات الجميلة أو الألعاب المدهشة التي حرموا منها حقيقة، ويقص علينا العلامة "فرويد" النمسوي قصة لطيفة لطفل صغير كان عليه أن يوصل سلة مملوءة بالشليك(الفراولة) إلى جدته كهدية لمناسبة عيد ميلادها- فقد سمع هذا الطفل في تلك الليلة يتحدث أثناء نومه وهو يحلم قائلا "جوني أكل كل الفراولة عن آخرها" فهذا الحلم قد صحح الأوضاع- ويصعب علينا أحيانا في مثل هذه الحالات أن نكشف بسرعة الصلة الوثيقة بين أعمال الليل والنهار، ثم نسبة الأعمال التي يأتيها الناس في أحلامهم وخيالهم بالليل إلى سبب حرمانهم منها بالنهار في اليقظة.

أما وقد وصلنا إلى هذه النتيجة السهلة، فإننا قد نجسر أن نخطو خطوة ثانية جريئة، فإذا ما فكرنا قليلا فإننا لابد واصلون إلى أننا نسند إلي العقل أثناء النوم صفة اليقظة والنشاط ذات الهدف العين المحدود، وهي استخدام الخيال لإشباع وتخفيف آلام الحرمان، فإننا ننسب بهذه

الطريقة إلى الأحلام وظيفة معينة هي تخفيف الآلام الواقعية في الحياة اليومية، وبهذا نفرض أن الأفكار التي تشغلنا تبقى موجودة أثناء تيقظ العقل وأثناء نومه على السواء، وأنه فوق ذلك يبقى أثناء النوم جزء من العقل نشطا إلى حد يمكنه معه أن يخلق من هذه الأفكار أضدادها وعكوسها.

وطبقا لهذا التفسير فإن الحلم هاتف هامس في أذن الطفل النائم يقول "نم وكن مطمئنا – ليس صحيحا أنهم أمروك ألا تذهب إلى السنيما، لا، لا، إنك حقيقة هناك، أنظر القسط الوافر الذي تأخذ به من السرور والمتعة هناك".

والأحلام من هذا النوع نادرة الحدوث، إذن فلنفكر في الأحلام الأكثر شيوعا التي إن هي إلا مجموعة من اللغو عديم المعنى المملوء بالأفكار التي يستحيل تنفيذها أو التي تتعارض قضاياها أو التي لا يمكننا أن نجد لها بداية– ودعنا نفكر في الليالي التي توقظنا بها الأحلام المزعجة، أحلام الخوف والبلايا والسطو والقتل التي يندر ألا يقع فيها أحد منا في وقت من الأوقات، فأمام هذه الأحلام يتوارى تفسيرنا السابق ويذوب وينحل كالضباب، ومع ذلك وبالرغم من كل هذا فإن التحليل النفسي يثبت أن هذه النظرية الصغيرة صحيحة يمكن تطبيقها، ليس على الأحلام النادرة فحسب، بل وعلى كل حلم يمكن حدوثه.

وأظن كلنا لا نشك بل نتفق على أن النوم عديم الأحلام هو أصح أنواع النوم، وعلى ذلك فالأحلام إن هي إلا تعكير لصفو النوم، فالنوم

يمكن أن تعكر صفوه الأسباب الجسمانية كالألم والضوضاء، أو الأفكار أو الرغبات التي لم تتحقق أو تنفذ وبقيت من اليوم السابق.

والحلم بالشيء ليس هو الذي يؤلم أو يعكر الصفو، وإنما هو في الغالب والأصح نوع من الفعل المنعكس لهذا الشيء، وفي الحالات البسيطة، من السهل أن نرى أن الحلم يكون حلا ملائما للمشكلة أو تخفيفا للألم.

وقد حدث في الحرب العظمى الأولى والحرب العظمى الثانية أن الكثيرين من المرضى لم يمكنهم أن يستيقظوا أثناء سماع المدافع القوية المضادة للطائرات أثناء الغارات الجوية، فإنهم كانوا يحلمون بدلا من ذلك أنهم يستمعون إلى صوت مرتفع وضوضاء غير ضار كصوت قطار يسير أو ما شاكل ذلك حتى أمكنهم أن يستمروا في نومهم.

وهناك كثيرون ينامون أثناء سماع دق جرس المنبه ويحلمون أنهم في مكاتبهم أو في حجر المحاضرات أو في مكان ما يناسب طبيعة عملهم.

فيمكنهم حلمهم هذا من أن يوفروا على أنفسهم مشقة القيام من الفراش والتيقظ والانتقال إلى حيث يريدون– إلى حيث العمل، فوراء الصورة الخيالية التي يتخيلونها وهم يعملون بجد واجتهاد وكدو نصب في المكتب أو المدرسة أو العمل، توجد الرغبة مستترة، وكأنهم طبقا للحلم كانوا هناك من قبل من غير أن يتحملوا مشقة القيام والذهاب إلى هناك حقيقة، فهذا خيال تحقق فيه الرغبة.

وأننا مدينون للعلامة فرويد النمساوي بالنظرية الحديثة عن الحلام وصدورها عن العقل الباطن، فنظريته تقول إن الأحلام لها غرض أو وظيفة خاصة هي إبعاد ما من شأنه أن يعطل أو يعرقل أو يعكر صفو النوم، وفي الحق أن فرويد يطلق على الحلم اسم "الوصي على النوم" **Guardian of sleep** وصحيح أننا قد نحلم أحيانا أحلاما مزعجة ولكن الحقيقة أن ما يزعجنا ليس هو الحلم نفسه وإنما هي الأفكار والرغبات التي يحاول العقل النائم أن يتخلص منها أو يبعدها بتحويلها إلى حلم سار غير ضار، وغالبا ما لا يتمكن العقل من أن يفعل ذلك وحينئذ نستيقظ ونحن في أشد حالات الانفعال المزعج المخيف، فمعنى هذا أن الأفكار المزعجة ليس لها اليد الطولي وأن العقل لم يكن قادرا أن يحولها إلى حلم سار.

ويقرر فرويد أن الطريقة التي بها يكون العقل النائم الأحلام ويمنع الأفكار المزعجة إن هي إلا طريقة سهلة، فالعقل يتخيل أن الأفكار إن هي إلا أضدادها ويحقق هذه الرغبات، ويقول فرويد "إن كل حلم يمثل تحقيق الرغبة لا أكثر ولا أقل" فهذه هي بالتأكيد أبسط طريقة نفسر بها فكرة غير سارة ولكنها لا تستقيم عادة في تفسير الحياة الحقيقية، فإذا كان هناك شاب قد قاسى من التعطل الشيء الكثير فإنه كثيرا ما يقع في حبائل خيال الوظائف والهدايا المغربة والمستقبل الباهر.

والشاب الذي لا حظ له في الحب كثيرا ما نجد خياله خصبًا في الاتصال بالآنسات الفاتنات اللائي يتهافتن على معرفته– أنها لمتعة لطيفة، وتوجد أمثلة كثيرة تنطبق عليها تلك الحالات بل وتتلخص في "الجعان يحلم بسوق العيش" أو "لو مانت الرغبات خيولا لركب الشحاذون"

والآن يمكن أن نقول إن ذلك حسن جدا ويمكننا أن نهضم مثل هذه الفكرة، ولكن لا يمكن تطبيقها إلا على نوع خاص من الأحلام، كمثل مكتشف القطب أو الرحالة إذا ما أضناه الجوع فإنه يحلم أنه يتناول طعامه في أحسن المطاعم وأفخرها أو إذا ما حلم الطفل المحروم من السنيما أنه يتمتع بمشاهدة أحسن الروايات أو إذا ما تحولت الضوضاء المؤلمة إلى شيء آخر كالأحلام التي تستبعد فيها الحقائق وتنقلب إلى أضدادها.

ولكن هذا لا يسري مفعوله إلا على عدد صغير جدا من الأحلام، فما العمل في بقية الأحلام وهي العدد الأعظم والنسبة الأكبر؟ – حينما نستيقظ من نومنا مذعورين أو نحلم أحلاما غير سارة مؤلمة، وليس هناك شيء أكثر خطأ من تطبيق هذه النظرية على هذا النوع من الأحلام لأن كلا نصفها يتحطم على الآخر فلا النوم أمكن الاحتفاظ به ولا يوجد في الأحلام من هذا النوع أي وجه شبه لتحقيق الرغبات، ولكن إذا قلنا بهذا وحسب، نكون قد تركنا أو مررنا مر الكرام بكلمة صغيرة وردت في نظرية العلامة فرويد الذي أسلفنا ذكره – فهو لا يقول إن الأحلام إن هي إلا

تحقيق رغبات – إذ لو كان هذا واضحا جليا ثابتا على طول الخط لم يكن هناك داع للبحث فيه والتحدث عنه – وإنما ما يقوله فرويد هو أن الأحلام تمثل تحقيق الرغبات وتقوم مقامها، وبهذه الطريقة فإن نظرية فرويد تتضمن أن الحلام ليست كما تبدو لنا وتظهر، وإنما هي أفكار مقنعة مختفية في لباس آخر غير الحقيقي، هذا إذا أغفلنا النوع النادر منها الذي ذكرناه أولا.

وهناك قصتان لأستاذنا فرويد يبين فيهما نظريته ويشرحها بوضوح وجلاء– فقد حلمت مرة فتاة شابة "أن زرافا كان يرقص في دائرة فأتت قطة في طريقه فركلها بعيدا عنه" ويخيل إلينا أن هذا هراء.

ولكن فرويد سألها عن الأفكار التي تجول بخاطرها وتتسرب إلى شعورها وعقلها عند ذكر كلمة الزراف أو التفكير فيها فأجابت "للزراف رقبة طويلة وهذا يذكرني بشخص لطيف جدا له رقبة طويلة ولكنه متزوج بامرأة أشبه ما تكون بالقط، نلاحظ كلمة "ولكن" فنا فإن الشخص إن لم يكن متزوجا لكان في مركز يمكنه أن يتقدم فيه إليها أو يقدم (دائرة) أو دبلة أو خاتما للخطبة – وهكذا بدا للحلم معنى بعد أن كان هراء مجردا، ومن المعقول أنه كان من الصعب على الفتاة أن تعترف لنفسها بواقعية الحال التي كانت تكره أن تتصورها هي أو تقابلها.

وهاك المثال الآخر: حلمت سيدة أنها كانت تركب مع شخص معين عربة تجرها مهرة "جميلة" ولما وصلوا إلى مزلقان للسكة الحديد رأوا تحذيرًا معلقا على لوحة مكتوب عليها هذه الكلمة وحدها "قريب"،

ثم أتى قطار مسرع بأقصى سرعة، فحاول الرجل أن يعبر المزلقان ولكن المهرة امتنعت ودارت للخلف في الوقت المناسب الصحيح حيث نجوا بحياتهم جميعا.

فالرجل في هذا الحلم ذكرها بابن عم لها كان قد طلب أن يتزوج منها مرة عندما كانوا يقودان عربة في الخلاء- أما كلمة "قريب" فإنها ظنت أنه من الخطأ أن تتزوج بقريب لها قرابة وشيجة إلى هذا الحد حتى لا يكون النشل ضعيفا، ولهذا السبب رفضت تقدمه ابن عمها مع أنها كانت مولعة به أشد الولع، وقد كان اسمها (جميلة)- وهذه المهرة الجميلة في الحلم والتي سببت نجاتهم من دهم القطار وإنقاذهم من الموت المحقق إن هي إلا الحالمة نفسها، وهكذا يصبح الحلم ذا معنى بعد أن نعرف هذا النوع من الخفاء أو التقنع.

وهكذا قد تكون صورة ما أو فكرة ما قناعا لفكرة أخرى مدفونة أو مختبئة أو بعيدة عن العقل الواعي بقصد وعنوة أو بغير قصد أيضا، فأي فرد يكون عقله منظما تنظيما سيكولوجيا أو يتخذ في أبحاثه دائما الطريقة السيكولوجية أو الاهتمام بعلم النفس، غالبا ما يجد من السهل عليه أن يقرأ بين أسطر الخطاب بل ويستخلص من الأفكار المكتوبة، أفكارا أخرى غير مسطرة ولكنها مختفية وراء الكلمات الحقيقية.

والمـدهش حقـا أننـا نجـد أحيانـا أثنـاء النـوم أن عقولنـا تصـور أفكاراوتشـكل صـورا لتخفـي وراءهـا أفكـارًا أخـرى عـن أنفسـنا، تتـزاحم لتخرج إلى الشعور وتظهر خارجا، ولكن جزءا من العقل لا يسـمح لهـا بذلك.

وهذه الأحلام إن هي إلا أفكار متغيرة أو مقنعة، فقد يخلط العقل فكرتين بعضهما ببعض ويجعلهما فكرة واحدة وهذه كثيرا ما تحدث مع الكلمات أو الأسماء.

فإذا حلم شخص مثلا باسم كهذا "هايد بارك الشرق" فإننا نجد أنه لابد أن لهذا علاقة بحادثين معينين وقع أحدهما في "هايد بارك بلندن" والثاني في "الشرق أي مصر أو أي بلد عربي آخر" والفكرة المقنعة رمت إلى شيء مشترك بين الحادثين.

وفي أحيان أخرى نجد أن الانفعال الأصلي ينتقل من الفكرة التي ينتمي إليها إلى فكرة ثانوية إلى حد أن الشخص الذي يحلم قد ينزعج ليس بسبب خطر حقيقي وإنما بسبب أحد التفاصيل التافهة أو النقط عديمة الأهمية.

وليس هناك ما يبصرنا بدواخل الشخصية والأساس الذي تنبي عليه أكثر من الشخص نفسه، وكما يقول فرويد "إن تفسير الأحلام هو الطريق الملكي إلى اللاشعور"، ولا عجب إذا اختبأ أهم جزء في العقل وتقنع حتى في أثناء النوم.

ولا تخبـر الأحـلام عـن المسـتقبل ولا تنبـئ بـه كمـا كـان الاعتقـاد سائدا، ولو أنه كثيرا ما يأتي الحلم مطابقا لما يحدث في المستقبل لأن رغباتنا العميقة تحاول دائما أن تطفو وأحيانا تنجح في ذلك أيما نجاح، وهكـذا يتحقـق المثـل القائـل "إن الأحـداث القادمـة تسـبقها ظلالهـا" Coming events throw their shadows before.

وتعطينـا الأحـلام دروسـا عـن الشخصـية أحسـن وأنفـع مـن الواقـع الحي، لأن الرغبات الأصلية العميقة التي تنشأ عنها الأحلام إن هي إلا هبات خاصة بالجنس البشري كله، وتحتوي على ثغرات وسمات كثيرة عـن العقـل البشـري وتطـوره، فالخرافـات وقصـص الأولـين وأسـاطيرهم وأمثالها مـن نسـج الخيـال تتكـون بـنفس الطريقـة وتسـهل قراءتها إذا كنـا ملمين بعلم تفسير الأحلام.

وقصارى القول إن ما أكتشف عن الحلام هو أنها نوع واحد كأحلام اليقظة تمام سواء حلمنا بالليل أم بالنهار، فإن ما نفعله هو في الحقيقة إظهار رغبتنا، فيا لبساطة المظهر، ولكن الصعوبة واختلاط الأمر هي في اكتشاف معنى هذه الرغبات وما ينطوي وراءها وقد أدت دراسة الأحلام بفرويد وغيره من العلماء المحدثين إلى أن يدعم علم النفس ويقدمه على أسس جديدة وعمد حديثه فأصبح علما يثور على ما كنا نعتقد بصحته من قبل عن أنفسنا، وهكذا يمكن أن نقول عن الحلام بحق:

"إن الحجر الذي رفضه البناؤون، وهو قد صار حجر الزاوية".

الفصل الثاني

الحلم المزعج

كما أن الحلام المزعجة كثيرة الحدوث في أثناء الطفولة فهي ليست نادرة أيضًا عند البالغين، فكثيرًا ما يستيقظ الطفل وهو يبكي أو يستغيث بأحد والديه، فعندما يصل الأب أو الأم إلى الغرفة التي يرقد بها الطفل، غالبا ما يكون هذا الطفل جالسا في فراشه يبدو عليه الذهول وعيناه زائغتان، وكما هي العادة فليس للطفل إلا أن يبكي أو يمسك بتلابيب والديه، وبعد أن يطمئن إلى أنه ليس هناك ما يخيف ويبدو عليه الاستقرار فإنه سرعان ما يعود إلى البكاء والتوسل إذا ما حاول والداه مغادرة الغرفة أو إطفاء الأنوار، وفي النهاية قد يتعزى الطفل إذا ما وعد بأن الغرفة ستبقى مضيئة إلى أن ينام أو أن والديه سيكونان قريبين من الغرفة التي ينام فيها.

ولنحاول قدر الاستطاعة أن نكشف أصل الرهبة وسبب الانزعاج، فأحيانًا تكون عبارة الطفل محددة ومباشرة فيقول: "رأيت رجلا ضخما يجري ورائي" وفي أحيان أخرى تكون أقل دقة فيقول "رأيت أسدًا".

ولكن لا يُمكننا أن نحصل منه على أية معلومات عما كان يفعله الأسد، كما قد تكون العبارة التي يفوه بها الحالم مثلا: "رأيت شيئا، ولكنني نسيت ماذا كان هذا الشيء".

وغالبًا ما نسمع العبارة البسيطة: "لا أعرف – لا أدري".

وهنا يمكننا أن نلقي الضوء على الموضوع بإضافة ما نعلمه عن الأحلام المزعجة عن البالغين، ففي القليل النادر من الأحلام المزعجة يمكن أن يتذكر البالغ بعض العناصر البارزة في الحلم، وهاك مثالا نموذجيًا يمكن أن نرجع إلى ما به من ارتباطات، فقد تعدد حدوث هذا الحلم في حياة صاحبه فتسمعه دائما يقول: "أحس أن عدوا قد أمسكني من الخلف فجأة، ثم لا ألبث أن أتحقق أن حياتي في الخطر، وأنني قاب قوسين أو أدنى من القتل – فأقاوم بشدة، ولكن دون جدوى، ثم أقرر تغيير خطتي، فأوقف المقاومة واستلقي مستسلمًا، فيعتقد هذا العدو أن قد قتلني فيخفف من قبضته – وفجأة استجمع كل قوتي وبمجهود جبار ألقيه بعيدًا عن فراشي، وعندئذ استيقظ وقلبي ينبض سريعًا، وأنا أتصبب عرقًا وفي حالة انزعاج تام .. ولم أر أبدا طوال خبرتي وجه ذلك العدو، ولا يمكنني أن أقول عنه شيئًا".

وسنجد أنه من الضروري أن نرجع إلى هذا الحلم، ولكن نكتفي الآن أن نعرف أن الفشل في تذكر وجه أو مظهر هذا العدو قد يكون راجعًا إما إلى الاعتقاد بأن الوجه والمظهر لم يكونا ظاهرين بشكل واضح في الحلم (وما هذا إلا نوع من الكبت)، وإما أنهما كانا ظاهرين بشكل واضح في أثناء الحلم ولكن مسحتهما يد النسيان بعد ذلك مباشرة (نتيجة لظاهرة النسيان).

ولأسباب سنأتي على ذكرها فيما بعد في حالة الأحلام المزعجة عن الأطفال نعتقد أن النسيان يلعب دورا هاما حالما يستيقظ هؤلاء الأطفال إلى درجة أنهم لا يمكن أن يتذكروا عناصر الحلم أو أنهم قد مروا بحلم ما أحيانا.

وهكذا يتميز الحلم المزعج بعلامات ثلاثة هامة:

– يكون الحلم مصحوبا بانفعال شديد تبلغ شدته درجة كبيرة تنتهي بالاستيقاظ.

– لا يتم الحلم عادة، إذ أن هذا الاستيقاظ يعوق إتمامه وينتقل العمل الذي كان مقدرا أن يصحب الحلم إلى حياة اليقظة، ويستمر الانفعال بعد اليقظة أيضا.

– تبدو درجة النسيان عند الاستيقاظ أكبر مما اعتاد الشخص نفسه في الحلام التي يكون التأثير (الانفعال) فيها أقل شدة.

وأولى هذه الخواص تضفي على الحلم المزعج أهمية كبيرة في الوقت الحاضر، إذ تختلف الآراء وتتضارب من حيث طبيعة الحالات الوجدانية ووظيفتها، وما بحث ما كردي[1] M.C. Curdy إلا دراسةلاختلال الانفعال وعدم انتظامه، وهذا مظهر من مظاهر الحالات المرضية المتباينة بينما كانت الدراسات السابقة للانفعال مبنية في أساسها على التأمل الباطني.

---

[1] Mc. Curdy: The Psychology of Emotion (London – Kegan Paul).

ونرى في الحلم المزعج انفعالا قويا مصطبغً بصبغة جديدة أو يظهر في ظروف جديدة، وعلى هذا يمكننا أن نأمل ونقول إن الأدلة التي تنكشف عن دراسة الأحلام المزعجة قد تساعدنا في الكشف عن أكثر هذه الظواهر السائدة انطباقا على ما أمامنا من حقائق، كما أن طريقة البحث في الأحلام تمكننا من الكشف عن عناصر غريزية في الحلم ويمكننا أن نتعلم طبقا لهذا – من فحص ودراسة الأحلام التي تصطبغ بصبغة انفعالية شديدة – أقول يمكننا أن نتعلم شيئا ما عن العلاقة بين الانفعال والغريزة، وهو موضوع مازالت تتضارب لآراء الباحثين المختلفين أمثال فرويد وريفرز يكشف عن "الغرضية في الأحلام" (وهذه الغرضية هي التي يعتبرها ماكدوجل العلامة المميزة "للسلوك") فإننا نستطيع أن نلقي بعض الضوء على العلاقة بين الانفعال والغرضية.

وهذا وحده ضمان كافي لمحاولة بحث الحلم المزعج، وهناك نقطة أخرى ذات أهمية عظيمة، فقد درس ريفرز **Rivers** في أثناء خدمته في الجيش كجراح كثيرا من الأحلام المزعجة التي كانت شائعة بين الجنود الذين يقاسون من "صدمة الحرب" **War Shock**، وسننظر إلى ما وصل إليه من نتائج بعين فاحصة فيما بعد، ولكنه يكفي في هذه المرحلة أن نقول أنه استنتج أن أمثال هذه الأحلام يجب أن تعتبر حالات شاذة للقاعدة المعروفة التي وضعها فرويد لتفسير الأحلام وهي أنها "تحقيق رغبات" وأنه لتفسيرها لابد لنا من قاعدة أخرى، فإذا كان هذا صحيحا فلابد لنا أن نكشف العلامات التي بواسطتها يمكن أن

نعرف تحت أي النوعين ينضوي الحلم الذي أمامنا.

ومن الممكن إثبات فرض ريفرز وتفسيره أو رفضه، بالبحث في أحلام الأطفال المزعجة، وتنحصر أهمية أحلام الأطفال المزعجة من هذه الوجهة في الحقيقة التالية وهي: أنه من الممكن أن نتحرر نسبيا من الأقنعة التي تختفي وراءها معاني أحلام البالغين وذلك عن طريق الأحلام وهي (أنها تحقيق رغبات) على أعداد كبيرة من أحلام الأطفال من غير تحليل، ولكن يندر أن يكون الحال كذلك فيما يختص بأحلام البالغين، ومما يتعارض مع المادة التي درسها ريفرز بوجه خاص نتوقع أن نجد أن أحلام الأطفال المزعجة هي جمل إخبارية بسيطة نسبيا تختلف عن أحلام "صدمة الحرب" الخاصة بالبالغين في أنها تبين بوضوح ودقة ما هي المميزات الأساسية للأحلام المزعجة.

وهناك نقطة ذات أهمية عملية، هي العلاقة بين أحلام الأطفال المزعجة وبين الظواهر الأخرى التي نقابلها في مجرى حيواتهم في المدرسةأو في المنزل، ولقد بين فرويد أن الحلم الذي هو مرتبط دائما بدوافع غريزية وأحداث ومواقف يومية جارية إن هو إلا علامة لفشل الحالم في التكيف للمواقف، فإذا أمكن أن نثبت صحة هذا في حالة الأحلام المزعجة مع ضمان الاعتقاد أنه في هذه الأحلام توجد دلائل أو علامات يستدل منها على طبيعة فشل الطفل في التكيف للمواقف في المدرسة أو في المنزل، فإنه يبدو أننا على حق عندما نأمل أننا سوف نتمكن من الكشف عن وسائل نساعد بها الطفل على إعلاء قدرته على

التكيف للمواقف، والمشكلة التي نستعرضها الآن ليست مشكلة قاصرة على أطفال المدارس الابتدائيةأو رياض الأطفال، إذ أننا كثيرًا ما تعرض لنا حالات من طلبة الجامعات (من الذكور والإناث) ذوي قدرات خارقة، ومع ذلك يفشلون في تكييف أنفسهم للنظم العادية للمناهج والامتحانات، ويضطربون نتيجة لذلك عند الاستماع إلى المحاضرات وفي قراءاتهم ودراساتهم، كما أن هؤلاء قد يكونون (مختبرون) من نوع سيء أي يضطربون اضطرابا كبيرًا عند اختبارهم، وفي الحياة العادية أيضا نجد أن أعدادا كبيرة من الرجال والنساء الذين كان ينبغي أن يقوموا بأعمالهم بشكل ممتاز، يضيعون وقتهم ومجهودهم في محاربة النظام الذي يعملون بمقتضاه فيحتج هؤلاء بقولهم إن العمل الجيد لا يمكن إتمامه إلا في ظروف خاصة، ولا يلقون بالا إلى الحقيقة التي تثبت أن رجالا ونساء آخرين يأتون عملا مثمرا جيدًا بالرغم من هذه الظروف.

كما يتجاهلون أيضا اعتبار فشلهم نتيجة لنقص تطيفهم لهذا النظام.

ويجب علينا عند مناقشة هذه النقطة بالذات ألا نتجاهل أن التغيرات المرغوب فيها، والتي حدثت في الأنظمة التي نعيش في ظلها، كانت نتيجة للانتقادات المتكررة من أفراد لم يتكيفوا لها ورفضوا أن يكيفوا أنفسهم، ويمكن أن يقال عن القلائل من هؤلاء الأفراد إنه بالرغم من أنهم فشلوا في الحصول على السعادة والنجاح لأنفسهم، فإنهم قد جعلوهما (السعادة والنجاح) شيئا ممكنا لعدد أكبر من الرجال والنساء.

ولا يُمكن أن يفسر التقدم البشري على أنه مجرد تكيف الإنسان التدريجي لبيئته، حيث أنه يجب أن نلم بالناحية الأخرى التي عبد فيها الإنسان البيئة لتكيف نفسها له بدورها.

ولندع هذا جانبًا، فإن دراسة أحلام اليقظة قد تلقي ضوءً على طبيعة الفشل العادي للتكيف في المدرسة والمنزل، كما تزودنا المعلومات والإرشادات إلى كشف العلاج الذي يتخذ مظهر مساعدة الفرد لاتخاذ الخطوات اللازمة لتكييف نفسه وتعديل بيئته بما يتناسب وطاقته على التكييف.

تحليل حلم مزعج

وأول حلم مزعج(١) نتقدم بعرضه وتحليله هو حلم من نوع يختلف عن غالبية الأحلام التي نعرفها، من حيث أنه حلم لطفلة صغيرة جدًا عمرها سنتان ونصف، كما أن سوابق الحلم وما يتعلق بحياة الطفلة العائلية من تفاصيل كانت كلها معروفة تماما.

فقد كانت العائلة تتكون من:

أخ يزيد عمره عن عامين عن الطفلة صاحبة الحلم

وطفلة رضيعة تصغر عامين عنها

وكان الأب واعظًا، لا يقضي في المنزل إلا مُددًا قصيرة متباعدة.

---

(١) George H. Green: The Terror Dream.

وأما الأم فقد كانت مدرسة أطفال، ولكنها لم تكن تلم بالتطورات الحديثة في علم النفس- وأمكنها أن تعطي كل التفاصيل التي طلبت منها، ولكنها لم تتمكن من إعطاء أي تفسير لأحدها.

وكانت العائلة في ذلك الوقت تعيش في قرية صغيرة في همبشير **Hampshire** بإنجلترا.

وقد كان بين الأخ وأخته غيرة شديدة، فكان الأخ دائما يحاول إظهار سيطرته على أخته، وينسب كل الفضائل لنفسه على أساس أنه "ولد – ذكر" وفجأة يكره الفصل الذي كان يحضره في مدارس الأحد على أساس أن الأولاد والبنات لا ينبغي أن يكونوا في فصل واحد.

وفي المنزل كان يصمم على أن الأولاد والبنات لا ينبغي أن يلعبوا بنفس اللعب، واتخذ من هذا عذرا لحبه لذاته، ذلك الحب الشديد، رافضا أن يدع شقيقته تلمس لعبه، لأن هذه اللعب، كما افترض هو، كانت لعبة خاصة بالأولاد.

وعندما كانت البنت تسأل عن أي الهدايا تفضل، فإنها كانت تختار من غير ما تردد "القطر" التي كان يملكها أخوها ويدعي أنه ليس لها أن تلعب بها، ولكي تضع الأم حدًا لهذا النزاع الدائم، وضعت أخيرا كل يما يخص البنت من "لعب" في مظلة خشبية كبيرة في حديقة المنزل أشبه ما تكون بالكوخ، وأخبرت البنت أنه في إمكانها أن تلعب بهذه اللعب هناك ولكن على شريطة أن تستأذن منها أو لا تسمح لها بالذهاب إلى تلك المظلة.

وهُناك عامل آخر ذو أهمية هو غيرة البنت من شقيقتها الصغرى، ففي البدء عندما دب النزاع بينها وبين أخيها، كان في مقدورها أن تستدر عطف أمها على أساس أنها كانت "الأخت الصغيرة" وفي مرات مختلفة اضطر الولد بواسطة أمه أن يشرك أخته معه في التسلية بلعبة لهذا السبب عينه.

كذلك كانت الأم معتادة أن تقص على طفلتها هذه قصصًا، وتعمل على شغل وقتها بما يدخل السرور على قلبها، فوصول الطفلة الجديدة إلى هذا الجو قد غير مجرى الأمور، فتحول انتباه الأم إلى الزائرة الجديدة، كما أعطتها وقتها أيضًا، فلم يعد للبنت من يناصرها في نزاعها ومعاركها مع شقيقها، فإن هي أرادت أن تلعب بلعب أخيها، لم يسمح لها بذلك.

وليس هناك أحد يحول انتباهها إلى ما يشغلها، كما كانت تفعل الأم من قبل: فأصبحت البنت سريعة الغضب، قلقة، تأخذ في البكاء لأقل مثير أو بلا مثير.

فبعد ظهيرة أحد الأيام، ما أن دخلت إحدى الزائرات حديقة دار هذه العائلة، حتى اكتشفت أن كلبها كان يتبعها من وقت خروجها من منزلها، وكان هذا الكلب ضخما أسود اللون، ليس من الكلاب التي تصطحب إلى غرفة الجلوس، ولهذا قبل أن تدق الباب الأمامي للمنزل ذهبت إلى الحديقة حيث المظلة الخشبية، وحبست الكلب هناك.

وفات الزائرة أن تذكر شيئا عن مسألة الكلب طوال زياراتها، وأخيرا عادت إلى منزلها، ناسية كل شيء عن الكلب الذي كان لا يزال في الغرفة الخشبية.

وعند الغسق (المساء المبكر) قررت البنت الصغيرة أن تذهب وتلعب بقطرها في المظلة الخشبية من غير أن تستأذن أولا، وقد كان أخوها عند ذاك يلعب بلعبه داخل المنزل وكانت الأم في ذلك الوقت أيضا مشغولة بالطفلة الرضيعة.

فلم ير البنت أحد عندما تسللت وجرت في الحديقة إلى الغرفة الخشبية، وما أن رفعت البنت المشبك وبدأت تفتح الباب، حتى اندفع الكلب المضطرب الجائع، بكل قوته، خلال الباب متجها إلى منزل أصحابه، وألقى البنت أرضًا، بينما هو يندفع إلى الخارج.

ولا ندري سواء صرخت البنت حينئذ أم لم تصرخ، ولكن تقص الأم علينا جرت البنت إليها، وذراعاها مفتوحتان، وعلى وجهها علامة العجز والرهبة والانزعاج، واضطربت الأم إلى حد أنها ألقت بالطفلة الصغيرة جانبا ووجهت انتباهها إلى البنت المنزعجة، ومضى وقت طويل قبل أن تتمكن البنت من أن تصف ما وقع لها وقبل أن يكون لمحاولات الأم والشقيق أي أثر في تهدئة البنت.

وقالت الأم إن الأخ أمكنه أن يقنع البنت أن تبطل بكاءها وتلعب بقطره هو.

وبعد ذلك بمدة قصيرة، أصبحت الأحلام المزعجة كثيرة الحدوث فكانت تستيقظ البنت من نومها مذعورة صارخة، وفي إحدى المرات نزلت من فراشها وهي تجري في حالة ذعر إلى فراش أمها، وهناك نامت بسرعة مرة أخرى، وفي مرات لاحقة كانت صرخات البنت تجعل أمها تندفع إلى فراشها لتبقى بجوارها، وعندما كانت تسأل البنت، كانت تذكر شيئا عن "كلب كبير" وفي مرة أخرى قالت "إن كلبا كبيرًا قفز علي."

فإذا ما قارنا هذا الحلم بأحلام الأطفال التي ذكر عنها "فرويد" الشيء الكثير في كتابه "تفسير الأحلام"، فإنه من الواضح أنه ليس لدينا في حلمنا هذا أي تصريح أو تلميح عن تحقيق رغبة .. فالطفل الذي يمنعه المطر أو يمنعه والديه من الذهاب في رحلة ما، قد يحلم أنه موجود في نفس المكان الذي كان يتوقع ويتوق أن يذهب إليه، ويمكننا أن نقول في هذه الحالة إن الحلم قد عبر عن الرغبة التي منع الطفل من تحقيقها.

ولكن في حالة هذه الطفلة، لا يُمكننا أن نفترض أن الطفلة كانت ترغب في أن يقفز عليها كلب ضخم كبير أو أن تفزع فزعًا شديدًا، وبالرغم من هذا، فإننا يمكن أن نتحقق من أن الحلم، على ضوء ما نعرف من الظروف السابقة له، يرتبط بمجموعة شروط ومواقف جعلت في وقت ما تحقيق عدد من الرغبات ممكنا.

ولنحاول أن ندرس الأهداف التي بذلت الطفلة جهدها للوصول إليها في الحياة العادية، بينما فشلت تمامًا في تنفيذها عمليا.

فما هي هذه الأهداف؟؟

أن يسمح للبنت باستعمال لعب أخيها.

أن تحل هي محل الطفلة الرضيعة كمركز اهتمام وعناية الأم الوحيد، وهكذا تعيد المياه إلى مجاريها السابقة عندما كانت هي طفلة رضيعة، (والرغبة في الرجوع إلى الماضي رغبة عادية للغاية).

يُمكن البنت أن تزور المظلة الخشبية من غير استئذان ومن غير عقاب أو توبيخ لعدم طاعتها أوامر أمها في هذا الشأن.

وهكذا يُمكننا أن نرى كيف أن هذا الحلم أن هو إلا تهيئة للجو الذي يجعل تحقيق الرغبات ممكنًا، وأن الحلم لا ينتقل إلى مرحلة تحقيق الرغبات فعلًا، لأن تهيئة الجو يثير حالة انفعالية تؤدي إلى الاستيقاظ.

ويعتبر الحلم المزعج الذي نتحدث عنه هنا حلما غير تام، وعلى هذا الأساس فهو حلم لا يشذ عن أحلام الأطفال العادية التي تمثل تحقيق الرغبة الميؤوس من تحقيقها أصلا.

وهنا تواجهنا مباشرة المشكلة الآتية:

لماذا لا يمثل الحلم الطفلة وهي تلعب بقطر شقيقها؟؟ أو يمثلها وهي تشغل انتباه والدتها؟؟

لماذا لا يخطو الحلم مباشرة إلى حالة بسيطة من حالات تحقيق الرغبة؟؟

بدلًا من فرض جو يبطل إمكان تحقيق هذه الحالة أو ينهيه؟؟

وإذا كان الغرض من الأحلام هو المحافظة على النوم ورعايته، فلماذا تناقض طرق تكوين الحلم أهدافه؟؟ وتعمل على هدم أغراضه في حالة الأحلام المزعجة؟؟

وفي هذه الناحية بالذات يقترح ريفرز**Rivers** (باعتبار الأحلام ناحية بيولوجية حيوية) — أقول يقترح أن الحلم يعمل كوصي على النوم أو كموقظ طبقًا لطبيعة المثير الذي بسببه تكون الحلم[١].

وطبقًا لريفرز، فهذا المثير هو الموقف الحاضر الذي يجابه الحالم، ولكننا بهذا الاقتراح الذي يبدو معتدلا نضيف إلى المشكلة صعوبة جديدة فما هي الأهمية الحيوية التي تضطر البنت الصغيرة أن تبقى متيقظة، أو تفزع البنت وتوقظها من نومها..

فإذا كانت الإجابة هي أن غرائز الخطر قد أثارتها ذكريات موقف خطر، فليس لنا إذن إلا أن نسأل لماذا لم تثر إلا هذه الذكريات بالذات دون غيرها؟ اللهم إلا لكونها ذات صفة غير عادية.

وكل ما نعرف عن الأحوال السابقة للحلم يؤدي بنا إلى الاعتقاد بأن الفزع له صبغته الخاصة، نتيجة الارتباط بتحقيق الأهداف المرغوب فيها عن طريق الخبرة السابقة، ويتكرر حدوث مرحلة هذا الفزع لا لسبب إلا هذا الارتباط، أو بمعنى آخر بسبب الصبغة السيكولوجية (النفسية) التي يصطبغ بها هذا الموضوع بالذات.

---

[١] Rivers: Conflict and Dream: page 187 (London – keganpaul).

وقبل أن نوافق على هذا، وقبل أن نوافق على تقبل هذه النظرية التي تقول إن الحلم المزعج يعتبر حلما غير تام (قوطع قبل أن ينم)، فإنه من الضروري أن نعالج عددًا أكبر من البراهين.

ومُنذ وقت ليس بالبعيد أعار بعض علماء النفس مشكلة الحلام المتكررة الحدوث بعض الاهتمام، وقد حاولوا الكشف عن أمثلة لهذه الأحلام التي يتكرر وقوعها في حيوات بعض البالغين الذين يعرفونهم، وكذلك ظروف حدوثها كلما كان ذلك ممكننا.

وقد حاول هؤلاء العلماء جمع معلومات عن طبيعة الأحلام المزعجة التي حدثت في أثناء الطفولة، من هؤلاء الذين كان في مقدورهم أن يقصوا عليهم أحلامهم المتكررة الحدوث.

ولما كان القليل من البالغين يعرفون أو يشعرون بوقوع حلم متكرر، ولما كان القليل أيضا يمكنهم أن يتذكروا بوضوح أحلام الطفولة المزعجة، فإنه يستتبع ذلك حتما ضآلة احتمال العثور على أفراد يمكن الحصول منهم على مثال للحلم المزعج، وفي نفس الوقت مجموعة من الأحلام المتكررة.

ويقول جرين Green [1] إنه قد نجح في كل مثال في الحصول على كلا النوعين من الأحلام، وقد كان من السهل ملاحظة وجود علاقة بين الأحلام المزعجة في دور الطفولة والحلام المتكررة في دور البلوغ، من غير ما داع إلى تحليل عميق.

ومما لا شك فيه أنه من الممكن أن ترى العلاقة كاملة واضحة، إذا ما كانت الظروف السابقة للحلم المزعج معروفة تامة كما هو الحال في المثال الذي عالجناه من قبل.

أمثلة للأحلام المتكررة

وأول مثال أنقله، ذكرته ناظرة مدرسة كبيرة كجزء من خبرتها الشخصية، فقد ذكرت أولا الحلم المتكرر ثم أجابت عن سؤال آخر وأردفت تقص حلم الطفولة المزعج:

"يطاردني الغجر – وأنا أجري بعيدًا عنهم".

ولقد ذكرت الحالمة إجابة للأسئلة الملقاة عليها ما يأتي:–

"لم يتمكن الغجر من اللحاق بي بتاتا، ولم يتمكنوا من إمساكي، وكنت دائما استيقظ في منتصف الحلم".

وعندما سألها المحلل النفسي: "ماذا تتخيلين كان يحدث لو أن الغجر أمسكوا بك؟ "أجابت الحالمة بأنه في طفولتها كانت قد سمعت القصص العادية عن رغبة الغجر في خطف الطفال.

---

[1] George H. Green : The Terror Dream. P. 20

وحدث تعقيد آخر منذ أن أخذ أخ الحالمة يكرر القول لها إن أباها وأمها لم يكونا والديها الحقيقيين، وإنما قد ابتاعاها من الغجر، وكانت تحب شقيقها كثيرا، وكان أكبر منها سنا، ويدللها ويدفعها إلى ارتكاب جميع أنواع الشرور.

فإذا نظرنا إلى الحلم على أنه غير تام، فإنه يمكننا أن نرى أن تكملته لابد أن تكون إما هروبا من الغجر أو وقوعا في أيديهم- ولكن الهروب من الغجر يعني شيئا واحدًا وهو أنها سوف تبقى مع والديها، وبما أن هذا هو الوضع الطبيعي للأمور؛ فليس هناك ما يدعو للحلم به.

ومن الناحية الأخرى، فالوقوع في أيدي الغجر يتضمن فصل الحالمة عن أبويها، ولا يمكننا من غير إثبات آخر أن نؤكد أن هناك رغبة لانفصالها عن والديها- وهذه الرغبة كان من الممكن تحقيقها مثاليا، لو أن الحلم قد اكتمل.

أما الحلم المتكرر، فكان يتخذ هذه الصيغة بوجه عام:-

"أنا في حجرة مع أمي – ثم تخرج هي وتتركني وحدي".

والشيء الذي لم تجد الحالمة له سببًا، والذي كثيرا ما سبب لها ارتباكا، هو أنها كانت تشعر في أثناء هذا الحلم بانفعالات غير سارة يصعب عليها وصفها، فهو ليس خوفًا أو ذعرًا "وإنما كأن شيئًا مزعجًا قد حدث".

وأحيانًا كان الحلم يمثل أمها عائدة إلى الغرفة، ولكن ليس إطلاقا خلال الباب الذي غادرت منه الغرفة، فكان عادة هو الباب الخلفي، وذلك حتى تظهر الأم خلف الحالمة وليس أمامها، وكانت صورة الأم تبدو هزيلة غير واضحة.

وليس من الضروري أن نناقش كل ما تضمنه هذا الحلم، والذي يهمنا بوجه خاص مباشر هو أن كلا من الحلم المزعج والحلم المتكرر يمثل انفصال الأم عن البنت، وفي الحلم المتكرر تذهب الأم بعيدًا، أما في الحلم المزعج فيبدو أن البنت هي التي تبعد، فكل من الحلمين يمكن اعتباره حالة مناسبة "لرغبة" هي: "أن انفصل أو أبعد عن أمي".

فالحلم الثاني الذي تحدثنا عنه "كحلم متكرر" ليس إلا تطورًا للحلم الأول المبكر "الحلم المزعج"، وقد تحول الحلم الأخير بطرق خاصة، ومن الضروري أن نبحث في طبيعة هذا التحول.

فبادئ ذي بدء كان هناك نقص ملحوظ في أثر الحلم حتى أن استمرار النوم أصبح ممكنا.

وفي المحل الثاني من الأهمية – حذفت من الحلم صور الغجر، كما حذف الخطر الذي كان من الممكن أن يحدق بالحالة بسبب وجودهم.

وثالثًا حدث قلب تام للوسائل التي تمت بها نهايات الحلم، ففصل الأم عن البنت قد تم بابتعاد الأم الإرادي، وليس بإبعاد البنت بالقوة أو الخطف.

أما عن مسألة ضعف الأثر فقد أفاض في شرحه ريفرز الذي وجد في حالة الجنود الذين يعانون من "صدمة الحرب" أنه بمرور الوقت انعدم وجود المظاهر المخيفة التي كانت تصحب الأحلام السابقة المبكرة.

وفي نفس الوقت نقص الأثر المؤلم وضعف أيضًا.

وفي الحالة التي يبدأ الحلم أثناء ها بإظهار نوع خاص من التحول مصحوبا بأثر أقل شدة، نجد أنفسنا وقد واجهتنا عملية من نفس النوع الذي نعرفه في الأحلام العادية.

وعندما تبدأ عملية التحول، فهنا فقط يصبح من الممكن أن نعتبر الكابوس حلا لصراع، وحيث أن النتيجة الأساسية في هذه الحالة هي أولا أن نخفف من شدة الصراع المؤلم، فإنه يمكن أن نعتبر هذا حلا من نوع غير تام.

ونتيجة التحول هي التخفيف إلى حد ما من آلام التجربة أو الخبرة التي يرغب الحالم في إبعادها كلية عن شعوره.

ويقودنا ذلك إلى اعتبار الكابوس ظاهرة النوم الذي يكون فيه الاضطراب المثير من نوع مؤلم للغاية؛ لأن الحلم إن هو إلا تعبير للفشل التام في صراع ما – صراع بين الميل لأن يتكرر الحادث المؤلم أو

الخبرة المؤلمة وبين الرغبة الشديدة في ألا يحدث ذلك إطلاقا.

وتجد أنفسنا مدفوعين لربط الاضطراب المثير ذي الخاصية البالغة الألم – أقول نربطه بفشل الحلم كحل للصراع.

وهكذا نجد أن في الحلمين اللذين ذكرتهما يجب أن نفترض أنه لم يكن هناك أي أثر له قيمة، لأن هذين الحلمين كانا حلمين مقبولين مرضيين للصراع الذي بنيا عليه الحلمان.

وقد أضاف ريفرز ما لاحظه من أنه في معظم الأحلام إن لم يكن في كل أحلام المعارك الحربية نجد أنه في حالة التيقظ يكون الحالم قد حاول جاهدا أن يبعد عن شعوره الحادث الذي تكرر ظهوره في الحلم، وذلك بأن يكبت هذا الحادث أو تلك الخبرة، وقد وجد بالتجربة مرارًا وتكرارًا أنه إذا انعدمت هذه العملية (عملية الكبت)، فإن الأحلام لا تحدث، وحتى إذا استمر حدوثها، فإنها تفقد صبغتها المزعجة.

وهنا يجب أن نشير إلى أن استخدام ريفرز لتعبير "الكبت" يختلف عن استخدام هذا التعبير في كتابات وأبحاث "فرويد" **Freud** وأتباعه، الذين يعتبرون الكبت عملية لا شعورية وليس للإرادة فيها دخل ويستحيل علينا، ونحن نقرأ مناقشة ريفرز، ألا نشعر أنه إلى حد ما، يتحايل على المشكلة، ولكن كيف يمكن أن نقرر أن حل الصراع بهذا الشكل أو ذاك كاف ومقنع ومرضي؟ فإذا أخذنا بالنتائج فحسب، أو حكمنا بما سنصل إليه من قرائن، فحينئذ نكون مضطرين أن نعترف أن البنت الصغيرة في الحلم الذي ذكرناه أولا، كانت قد اكتشفت عن طريق خبرتها الواقعية،

أن انزعاجها بوساطة الكلب كان سبيلا لحل مشاكلها المتعددة التي تواجهها وتقع فيها، ويبدو أن الحلم يكشف سبيلا حقيقية توصل إلى أغراضها، إذا ما سارت في هذه الطريق فعلا.

ولنتمهل هنا قليلا ونتساءل: كيف يمكننا أن نقارن مسألة نسبية كهذه؟

فكيف يُمكن أن نحكم على الحلول المقترحة في الحلم إذا ما كانت مرضية للبنت التي تريد أن تتخلص من أمها؟

فالسبيل الوحيدة التي يمكننا أن نسلكها لنقارن بينها جميعا، هي أن حلا خاصًا أحسن من حل آخر، لأن الأثر المؤلم الذي يتركه أقل وضوحا أو ظهورًا، ولا يجب أن يتبادر إلى الذهن أن الأثر قد قل أو أمحى، لأن هناك حلا أحسن، وإنما على النقيض من ذلك، فإن الحل يكون أحسن لأن الأثر أقل.

فإذا نظرنا إلى الموضوع من هذه الزاوية، فإننا لابد أن نعتبر أن الحلم هو حل للمشكلة، وهذه المشكلة تنحصر في الوصول إلى هدف خاص، بأقل تأثير ممكن، وليست المشكلة سلوك بقدر ما هي مشكلة شعور وإحساس، ولا يعتمد الحل على أن هذا الطريق أو ذاك عمل أكثر من سواه أو يستغرق وقتا أقل، أو يتطلب مجهودًا أقل أو لأنه أكثر ملاءمة، ولكنه يعتمد على اعتبار واحد فحسب، وهو أن الحالم يجب ألا يزعجه أو يضايقه شيء ما.

وإذا ما وصلنا إلى هذه المرحلة من النقاش، فإنه يبدو لنا ألا دخل للاعتبارات الأخلاقية في الموضوع، ولكن من المستحسن أن نشير هنا أيضًا إلى أن الحالم في أثناء نومه، لا يشعر قط بالصعوبات التي تنشأ عن القيود التي يفرضها الزمان أو المكان، بل هو يبطل فعل السنوات بنفس السهولة التي يلغي بها أثر الأميال والمسافات، فهو ينقل الغابات والبحيرات، ويمشي في الهواء وعلى الماء، ويطفو أو يطير كما يشتهي.

ولكن في الأحلام المزعجة والأحلام المتكررة غير السارة لا يمكن الحالم أن يخلص نفسه من المشاعر المؤلمة غير المقبولة عند ظهور أشياء خاصة، وإذا ما عبرنا عن هذا باللغة "الفرو يدية" **Freudian**، فلا يكون هذا إلا اعترافا بأنه في أثناء الحلم نتجاهل "مبدأ الواقعية" أو "عنصر الحقيقة" ويتكون الحلم تحت تأثير مبدأ "السرور والألم"، فالحقيقة الموضوعية لا وجود لها، أما المشاعر الشخصية فهي الحقائق الوحيدة.

وعندما يتحدث ريفرز عن الأثر الذي يطلق عليه تعبير "الكبت" فإنما يتعامل مع شخص يحاول جاهدًا أن يبعد عن فكرة خبرة مؤلمة أو غير سارة، ومعنى هذا أنه يقصد شخصا يفكر في الأمر بطريقة ما ويرفض أن يفكر بطريقة أخرى.

فالشخص الذي يحاول أن يبعد أمرًا، أو فكرة عن عقله، يجد أن هذا الأمر أو تلك الفكرة تعود باستمرار إلى ذهنه إلى درجة أنه يفكر فيها دائما، ولو أنه يرفض أن يفكر فيها على أنها مشكل، يحتاج إلى حل

كجميع المشاكل الأخرى التي تحتاج إلى حلول، فنجده لا يهتم بالبحث في العناصر التي تكون ذلك الأمر أو تلك الفكرة، أو العلاقات التي تربط هذه العناصر أو العوامل بعضها ببعض وعما إذا كانت سبلا أو وسائل أو غايات.

ومن المعروف أنه لحل أي مشكل، فإننا نفكر في هذا الشكل باستمرار ونقلبه على وجوه عديدة مختلفة، ونعطيه شيئا من وقتنا، ونحلله إلى عناصره، وبهذا يمكن أن نتغلب على الصعاب المرتبطة به أو العقبات القائمة في وجهه.

وإذا ما عاودنا تحليل مشكلة "معنى الحلم أو ما ينطوي عليه"، فإننا نجد أن الكلب الضخم في الحل م الأول، والغجر في الحلم الثاني تحملان معنى ومغزى، لأنها تعتبران وسيلة لغاية خاصة محددة، فالطفلة الأولى ترفض الخضوع لشقيقها والشعور بالذلة إذا ما قورنت بالرضيع من حيث الاهتمام والمركز العائلي، والبنت الثانية في الحلم الثاني ترفض سيطرة الأم كذلك، ولذا تصطبغ عناصر الحلم بمعان خاصة ما دامت هذه العناصر تهدف إلى تحقيق أهداف خاصة مرغوب فيها.

وما هو الدور الذي تلعبه "الغرضية" التي ينادي بها مك دوجل **McDogall**، في الحلام المزعجة المتكررة؟؟ وما هو الغرض، النفسي أو البيولوجي (الحيوي)؛ الذي يحققه تكرار حادث مزعج، انتهى من وقت طويل؟؟ فالرجل العسكري، الذي كان يعاوده حلمه المزعج بسقوطه بالطائرة وتحطيمها، إذا ما استقر بالمستشفى، لم تعد تشغله أية

مشاكل ترتبط بالطائرات، أية مشاكل يبغي حلها، والمرأة التي كان ينغص نومها لمدة طويلة الحلم المتكرر الذي يمثلها جالسة إلى جوار فراش موت أمها – ما هو الغرض الذي يكمن وراء حلمها الآن نفس هذا الحلم بينما انقضى وقت طويل على موت أمها؟

وللإجابة على هذا نقول إنه في الحياة العادية تظهر الغرضية بوضوح في نظرية الطفو، (تكرار ظهور الحوادث في العقل الواعي)، فما نسترجعه من الماضي، نسترجعه لما له من علاقة وارتباط بالمشكل الحالي، فالمشكل الذي يشغل عقل الجندي الناقه في المستشفى بعد خبرة حرب مريرة، هو مشكل يتعلق بعودته إلى ساحة القتال، فقد إحساسه بالواجب ومشاعره الخاصة بالشرف أن يبلغ عن حالته الصحية بأمانة كاملة للطبيب الجراح المعالج، ومع ذلك فقد حاول عدد كبير ممن حاول كان يعذبهم الضمير والواجب – أقول حاول هؤلاء أن يطيلوا مدة إقامتهم بالمستشفى.

أما في ساحة القتال نفسها، فإن الجندي الذي يجرح أو يصاب إلى حد يستوجب نقله إلى المستشفى ومنحه إجازة للنقاهة، أقول إن مثل هذا الجندي يعتبر محظوظا، وعلى هذا فإنه من الواضح أن حادثا مفزعًا كسقوط الطائرة وتحطيمها يمكن أن تعتبره وسيلة لتحقيق هدف خاص.

فالشخص الذي يقاسي من موقف مؤلم كهذا يمكنه أن يبقى بعيدًا عن الخطوط الأمامية من غير أن يشعر بتأنيب الضمير أو الإحساس بالجبن.

فحادثة تحطيم الطائرة لها من المعنى والوقع والأهمية ما للكلب الكبير والغجر، لسبب بسيط هو أنها مرتبطة بعدد من الأهداف يحاول الشخص تحقيقها لغرض في نفسه، فهناك (غرضية) إذن.

وهنا لا يستقيم التفسير المقترح الذي ذكرناه، والذي يقول إن استرجاع أو تكرار خبرة ما يمنع ويحمي الجندي من العودة إلى الخطوط الأمامية في المعركة – أقول لا يستقيم هذا التفسير المقترح إذا ما لاحظنا أن أحلامًا مشابهة كانت تتكرر لمدة طويلة بعد انتهاء الحرب وعندما لم يكن هناك أي احتمال لعودة الجندي إلى الخطوط الأمامية.

ولكن يجب ألا يغرب عن البال أن الجندي المسرح عليه أن يعود إلى عمل أو وظيفة أو مهنة انقطع عنها لمدة طويلة، وأنه أثناء غيابه، قد حمل غيره أعباء وظيفته، وأن مشاكل عديدة ستواجهه عندما يحاول فعلا أن يعود إلى علمه أو صناعته.

ويُمكننا أيضا أن نشير إلى أن المرأة التي تحلم بمنظر وفاة أمها، بعد انقضاء مدة طويلة على تلك الوفاة ولما سئلت المرأة عما أمكنها أن تحصل عليه فعلا بعد وفاة أمها، تحدثت عن الطريقة التي كانت تربطها إلى جانب فراش أمها في وقت كانت أحوج ما تكون إلى أن تبدأ عملا جديدًا يتصل بمستقبلها، ثم استطردت قائلة إن موت أمها جعلها فجأة

تشعر أنها "حرة"، وفي نفس الوقت كان والدها يطلب منها قضاء كل الوقت الذي لا تشغله في وظيفتها، في أعمال المنزل، فكانت تشكو أنها لم تستمتع بأية حرية، فهنا يضع الحلم أمامها نفس الظروف والأحوال التي كسبت عن طريقها "الحرية المرغوبة"، لسبب ظاهر وهو أن الموقف الحالي مع والدها يشبه الموقف السابق عندما كانت مقيدة إلى جانب فراش أمها.

وبنفس الطريقة يمكن أن نحلل أحلام الجندي المقدر له أن يعود إلى صناعته، فلأسباب كثيرة لا يود أن يعود ولكن في نفس الوقت لأسباب اقتصادية وأخلاقية يجب عليه أن يعود، وهو أيضا ينظر إلى عودته إلى عمله بنفس الطريقة التي ينظر بها إلى العودة إلى خط النار وهو راقد في المستشفى، وهذا هو السبب في تكرار الحلم حتى بعد شفائه.

وهذا الاعتبار هو الذي يشكل المدرك الكلي الذي نكونه للمعنى أو الكنه السيكولوجي للشيء المخيف في الحلم المزعج – وليس من الضروري أن يكون الشيء المخيف في الحلم المزعج شيئًا مفزعًا في ذاته، وإنما قد يكون هذا الشيء قد اكتسب معنى أو تفسيرًا سيكولوجيًا خاصًا يجعله مزعجًا، كما هو الحال في حلم "الكلب الضخم"، فالأطفال وخاصة الإنجليز لهم من الخبرة بالكلاب ما لا يؤدي إلى هذا النوع من الانزعاج والخوف.

ولكن الحقيقة هي أن الانزعاج تسببه الانفعالات التي تنضوي تحت اسم "الكلب الضخم"، ففي أثناء الحلم المزعج يسود عنصر الخوف الذي يظهر لنا بوضوح الارتباط القوي بين الخوف والانزعاج، وعند ما كانت الطفلة تحلم بالكلب الضخم، فإنها كانت تصحو منزعجة وتجري إلى غرفة أمها، وإلى فراش أمها – إلى الأماكن التي أبعدتها عنها الطفلة الرضيعة – هذه الأماكن التي كانت ترغب هي في احتلالها وحدها.

فالموقف أو الشكل الذي يرفض المرء التفكير فيه شعوريًا يبقى قائمًا جديدًا لأنه لم يُحل، والحلم المزعج الذي يتكرر عند الطفل يعتبر تمثيلا للحل الناجع.

ولقد أشرت في بداية هذا الفصل إلى الحلم المزعج الذي كان يحلم به رجل يناضل إثناءه مع عدو أو منافس، ويتخلص منه أخيرًا بدفعه بالقوة عنه ودحرجته بعيدًا – فيمكن اعتبار الحل هنا مرضيًا مريحًا، ولو أن الحلم لا يفسر لنا هنا كيف تمكن الحالم بدنيًا أن يزيح عنه عدوًا في حجم جسمه بينما هو قابع في فراشه، ولكن الطريقة الوحيدة التي تمكن بها الحالم من إتمام العمل هو أن يمر بتجربة قاسية مفزعة يهاجمه إثناءها هذا العدو غير المعروف من الخلف ويظل تحت رحمته، ثم يظل في حالة من القلق ويتظاهر بالموت حتى تنجح الحيلة في أن يخفف المهاجم قبضته ويبطل هجومه، وفي بعض الحالات التي تكرر فيها الحلم كانت تطوف بعقل الحالم فكرة خاصة تنحصر في أن هذا المهاجم ينوي قتله فعلا.

وهكـذا يمكـن ملاحظـة الطريقـة التـي يـزود بهـا الحلـم صـاحبه بمجموعة من الظروف التي تبرر للحالم قتل مهاجمه، كما يمكن أن نلقي بعـض الضـوء علـى شـكل وتكـوين هـذا الحلـم بمـا يمكـن أن يطفـو فـي الذاكرة من أحداث من أيام الطفولة الأولى، سواء تذكرها الحالم نفسه أو جمعت من مذكرات وذكريات الوالدين.

فعنـدما كـان هـذا الرجـل الـذي نبحـث حلمـه طفـلا فـي سـنته الأوى، ولد له شقيق، وبعد مضي سنوات، عندما تمكن الطفل الأصغر من اللعب بلعب أخيه الأكبر وتحطيم وإفساد بعضها، أخذ الطفل الأكبر يسأل أمه إذا كـان مـن الممكـن إرجـاع الطفـل الأصـغر مـن حيـث أتـى مـا دام هـو لا يقبلـه ولا يطيقـه، وفـي مـرة أخـرى، لا يمكـن تحديـد زمانهـا بالضـبط، إذا كانـت قبـل حـوادث أخيـه الأصـغر أو بعـدها، عنـدما هـدده أبـوه بإحضـار رجل البوليس لأخذه إلى قسم البوليس إذا عاد إلى شقاوته، أجاب معلنًا أنه إذا تدخل رجل البوليس في شئونه وحضر، فإنه سيلقيه بعيدًا ويقذف به من فوق حائك السور.

وفـي مناسـبة أخـرى، عنـدما كـانوا يحـاولون إيقافـه عـن الحـديث مـع أخيـه لـيلا حتـى ينـام الأثنـان فـي ذلـك الوقـت المتـأخر مـن الليـل، وذلـك بإلقاء فرو إلى فراشه لإسكاته، أقول حدث عندما حاولوا ذلك، أن قفز الطفـل جالسًـا وألقـى بـالفرو إلـى الأرض، وفـي الظـلام اعتقـد الطفـل أن الفـرو حيـوان مفتـرس يبغـي الهجـوم عليـه، وانتظـر فـي فـزع أن يهـاجم هـو الحيوان إذا عاود الكرة.

وكل واحدة من هذه المناسبات والمراحل تربط نفسها بطريقة واضحة بالحلم المزعج، فالسؤال الأول الذي وجهه الطفل إلى أمه يعني التخلص من المنافس والتعالي فيما يختص بإلقاء رجل البوليس يعني التخلص من شخص ذي سلطة ونفوذ وهيبة، شخص كان يخشاه– أما سلوكه فيما يختص بالفرو فمعناه التخلص من شيء يخافه– والتخلص من شيء ما هو لب ومحور الحلم المزعج.

وقد كان الطفل في حياة اليقظة العادية يشعر بخوف من الكلاب، ولكن لم تكن غريزة الخوف وحدها هي التي تثار عنده إذا ما رأى كلبًا.

وإنما كان يشعر دائمًا بخجل كلما حاول أن يتجنب الطريق الذي يسير فيه الكلب، ويعتبر نفسه جبانًا، ولذا يبذل كل ما في وسعه لكي يكون انسحابه وهروبه من الطريق غير ملحوظ أو ملفت للانتباه، وفي بعض الحالات كان يحاول أن يقنع نفسه أنه غير طريقه، لا لخوفه من الكلب أو لتجنبه، وإنما لأن الطريق الآخر الذي تخيره كان أفضل.

ولنثبت أن هذه الأمور مرتبطة ارتباطًا وثيقًا، نذكر حلمًا حدث لهذا الحالم نفسه بعد أن بلغ من العمر ثلاثين عاما، ولكن حدث هذا الحلم في الفترة التي لم يتوقف الحلم المزعج عن الظهور بين آونة وأخرى منها، وفي هذا الحلم ذهب الحالم إلى شباك التذاكر في محطة السكة الحديد وكان الظلام يخيم على المكان كله، ثم دخل رجلان وفي صحبتهما كلب.

وكان أحد الرجلين بارونًا ألمانيًا بينما كان الآخر خادمه، وهاجم البارون وكلبه الرجل الحالم وسقط ثلاثتهم على الأرض، البارون إلى أعلا والرجل تحته وبينهم الكلب، ويعتقد الرجل، ولكنه ليس متأكدًا أن البارون كان يحاول خنقه بينما كان الكلب يمزق جسمه بأظافره.

وأخذ الرجل يقاوم لحظة ثم رقد هادئًا ساكنًا كأنه ميت، فخفف البارون والكلب من هجومهما وتوقفا، وبعد مجهود شاق أمكت الحالم أن يغير الوضع الذي كانوا يرقدون بمقتضاه على الأرض، فأصبح هو فوق الكلب والبارون، واستمر الكلب يمزق جسد البارون تحته، غير منتبه إلى تغير الوضع وكيف حل البارون محل الرجل الغريب، وفي دقائق معدودة فاضت روح البارون، وتقدم عندئذ الخادم الذي كان يصحب البارون نحو الرجل بخضوع معتبرًا إياه سيده، كما أصبح الكلب عطوفًا طيعًا.

وما يُمكن أن نستخلصه من حلم كهذا هو أن الحالم قد اكتسب في النهاية المركز والزوايا التي كان يستمتع بها جميعًا منافسة الذي أمكنه التغلب عليه وقهره، وفي نفس الوقت يفصح الحلم عن معركة الانتصار على عدو، حيث أن الحالم قد قتل الرجل الذي هاجمه، ويدلنا الحلم أن عاملا آخر غير غريزي – هو عامل الذكاء – كان له دخل كبير في الإيقاع بين "البارون والكلب" العدوين المهاجمين.

وقد ذكرنا هذا الحلم، ليس للحلم ذاته، وإنما للضوء الذي يلقيه على الأحلام المزعجة، فبالمقارنة، نجد أن الحلم المزعج غالبًا ما يكون غير تام، إلى درجة أن نهايته تكون غير معروفة، فيترك الحالم يقظًا خائفًا، يدق قلبه بشدة، وقد يجلس في فراشه كما لو كان متوقعا عودة المهاجم مرة أخرى، أما هذا الحلم الذي ذكرنا فإنه يشمل عنصر الفزع والانزعاج ولكن بدرجة معتدلة إلى حد يمكن أن يستمر في نومه، ويصل إلى نهاية، يحاول الحلم المزعج أن يصل إليها، وفي النهاية أمكن التخلص من أحد المهاجمين بطريقة ومن الآخر بطريقة أخرى، ويؤكد الحلم كيفية للتخلص من الأعداء والمنافسين والمعارضين، ولكنه يتبين أن هناك أكثر من طريقة واحدة للتخلص منهم، فليس من الضروري أن نقتلهم مادام في الإمكان طبقًا لخطة ما أن يقتلوا بعضهم البعض، كما أنه من الممكن أن نحول المهاجمين الأعداء إلى أصدقاء خدومين طيعين.

كيف نتجنب الأحلام المزعجة

وعلى هذا النحو، إذا ما صادفنا مشكل فأننا ندركه ككل أولا، ثم نحاول أن نكتشف عناصره بعد ذلك لنحقق كل عنصر على حدة ثم نوجد الارتباطات والعلاقات بين هذه العناصر بعضها البعض، ويتحدد عملنا طبقًا لهذا على ضوء الخبرات السابقة، ونتذكر كيف كان رد فعلنا تجاه هذه العناصر بعينها في المناسبات السابقة، أما إذا لم يكن لدينا خبرات مشابهة تمامًا لتلك العناصر، فإننا نسترجع كيف سلكنا في مواقف قريبة الشبه منها.

واقتراح ريفرز ذو أهمية خاصة فيما يتعلق بحدوث الحلم المزعج، إذ يقول إن الحلم المزعج يكثر احتمال حدوثه عندما نهمل أو نتناسى المشاكل والصعوبات التي تعترضنا، ويقترح أنه إذا صادفتنا مشكلة ما، فإنه يتعين علينا العمل – عمل شيء ما لحل المشكلة مباشرة– لا تجاهلها كلية، أو على الأقل إن لم نتمكن من عمل مباشر فلنفكر في المشكلة.

فالتفكير يتحسس طريقه دائما ببطء وعناية تجاه حل سعيد، وهو بذلك يدخل الرضا على النفس كبديل للعمل، ففي حالات كثيرة يرضى الناس بالتفكير في المشكل، ويكتفون ببحث الطريقة التي يمكن أن تتم بها الحلول من غير أن يقوموا بالعمل ذاته إلى درجة أنهم يفقدون الميل إلى العمل ولا يشعرون بضرورة القيام به، ويمن أن تكون أنواع التصور المختلفة التي تصحب التفكير، كالتصور البصري والسمعي والشمي والحركي، أقول يمكن أن تكون هذه الأنواع من التصور بديلا عن العمل.

ففي الحالات التي فحصها ريفرز، وجد أن السبب الذي من أجله رفض هؤلاء الرجال أن يفكروا في الوقف الذي مروا به أثناء الحرب، هو الألم أو الضيق الذي كان يصحب هذا الموقف، إذ أن تفاصيل الموقف يمكن تناسيها.

أما ذلك الأثر الذي يصحب التفاصيل فيستحيل تجاهله، وعلى هذا ففي يدنا المفتاح الذي بوساطته يمكن معالجة الموقف عن طريق الحلام المزعجة، فالأثر أو الصبغة الانفعالية هو التفصيل الوحيد أو العنصر المفصل الوحيد الذي يشترك فيه الموقف السابق مع الحلم المزعج، وعلى ذلك يمكن أن نتحقق أنه إذا ما فكرنا في الحلم– وبخاصة النوع المزعج منه – وفكرنا في علاقته بالمشكل الذي يواجهنا، فإنه يتعين علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الفروق بين الحل الذي يسعى إليه الحلم والحل الذي يمكن أن نهدف إليه في حياة اليقظة.

ومع أن ريفرز يمعن كثيرًا في ذكر الموقف الحاضر المتكرر لمرضى "صدمة الحرب"، فإنه لا يكاد يذكر شيئًا ذا بال عن المشكل الذي كان يتطلب حلا، فلدينا عدد من الرجال سحبوا مؤقتًا من خط القتال ونقلوا للعلاج الطبي الذي يهدف إلى شفائهم وجعلهم صالحين مرة أخرى للقيام بواجبهم الوطني والدفاع ضد العدو والاستمرار في القتال، فإذا ما شفوا، فعليهم العودة، أما من الناحية الأخرى، إذا ثبت عدم صلاحيتهم للخدمة بسبب مرضهم أو عدم قدرتهم لإصاباتهم أثناء تأدية الخدمة الحربية، فإنهم في معظم الأحوال يعطون معاشات خاصة، ومن الواضح تماما أنه في مثل هذه الظروف كان لكل فرد مشكلته التي تواجهه، ولكن من الصعب جدا على أي ملاحظ خارجي أو حتى على الشخص نفسه أن يعرف بدقة ماهية هذا الشكل، وتقابلنا نفس الصعوبة إذا ما بحثنا حالة الطالب المختبر من النوع السيء، فمجرد رؤية ورقة الأسئلة تسبب

له، أو قل هي، مشكلة عويصة بالنسبة له، ولا يُمكن تفسير هذه المشكلة ببحث محتويات الورقة أو معرفة مدى اهتمام الممتحن بالإجابة السليمة الصحيحة وأهمية ذلك له، كما يتبادر إلى ذهن الملاحظ الخارجي، فإن العوامل الشخصية في مثل هذه الحالات لها الأسبقية على العوامل الموضوعية.

بعض التجارب العملية لإحداث الأحلام الصناعية

ولقد ألقت التجارب العملية، التي أجريت في أوقات مختلفة لبيان الدور الذي تلعبه الاضطرابات الجسمية في إحداث الأحلام، ألقت هذه التجارب ضوءً مشوقًا على موضوع "حل" أو تفسير الأحلام المزعجة وغير المزعجة، وأحسن هذه التجارب العملية المعروفة ما قام بها كل من موري **Maury** وكابرلي **Cubberely**، وقد سجل كابرلي عددًا كبيرًا من هذه التجارب والأحلام الناتجة عنها في المجلة البريطانية السيكولوجية **British Psychological Journal**، وكانت طريقة موري أن يكلف ملاحظًا باستخدام مثير قوي في أثناء نوم موري نفسه، بينما اعتمد كابرلي، من جهة أخرى، على استخدام مثيرات متوسطة معتدلة على أجزاء مختلفة من الجسم، فقبل النوم كان يستخدم نوعًا من المشد أو يضع قطعة من "اللاصق **Plaster** قوي التماسك" ذات حجم مناسب على جزء أو عضو من جسمه، أو كان يغطي برفق جزءًا من سطح الجلد بنوع من "المراهم" التي تسبب التهاب العضلات أو إزالة الالتهاب.

ففي حالة موري، عند استخدام مثير قوي شديد، كانت النتيجة أحلام مزعجة وتيقظ من النوم، ولكن لم تكن هناك تفصيلات يمكن بواسطتها اكتشاف المدى الذي يمكن أن تصل إليه هذه الأحلام لإثبات الدور الذي تلعبه "الدوافع" التي تحدث عنها فرويد.

أما الحالات التي ذكرها كابرلي فهي تبين بجلاء أن الحلم الصناعي دخل في تكوينه "دوافع" ومواد مرتبطة متصلة، تلك الدوافع التي تقوم عليها نظريات "فرويد" (غريزة الجنس).

ولقد أجرى جرين **Green** تجارب عدة على بعض طلبته، متبعا طريقة كابرلي، فحصل على نفس النتائج، مع أن هؤلاء الطلبة كانوا يجهلون نظريات فرويد.

ومن المشوق والمهم في هذه التجارب العملية أن نعرف أن كل نوع من المثيرات المختلفة ينتج حلما مزعجا من نوع خاص، فمثلا الضغط الخفيف على الرقبة أثناء النوم قد يتبعه الحلم بالمقصلة، وهز الأنف وإثارة الخياشيم برفق من الداخل قد يسبب حلما نضيق فيه بقناع ضاغط، وجذب الذراع بخفة قد يتبعه حلم لعب التنس أو التعلق بجلدة الترام أو الأتوبيس المزدحم.

ويُساء تفسير المثير أو يفسر خطأ، كما أثنت سالي[١] **Sully** مُنذ وقت بعيد، وقد أدى هذا بسالي إلى افتراض أن قوى عقلية خاصة تؤدي وظيفتها في أثناء النوم بدرجة أقل منها في حالة اليقظة، فبدلا من أن يمثل الحلم الأحوال والظروف الحقيقية للحالم، نجد أنه يمثل حالة واحدة يتشكل شعور الحالم فيها طبقا لما يمليه المثير، وهذا ما يسبب جذب الذراع وتوتر عضلاته فعلا عند تعلقنا بجلدة الترام أو الأتوبيس، أو عندما نلعب التنس.

كما أن لمس الرقبة المفاجئ بواسطة جسم بارد أثناء النوم يمكن أن يشبه الشعور الذي يحس به الشخص الذي يلمس رقبته نصل المقصلة، وإثارة الخياشيم بخفة يمكن أن يشبه وضع قناع ضاغط فجأة على وجه الشخص.

وكل هذه البراهين والأمثلة لا تبين إلا حقيقة واحدة وهي أنه عندما نسبب حلما صناعيا، فإن الشيء المهم الذي يكون هذا الحلم هو الأثر الناتج من المثير وليس طبيعة المثير نفسه، هذا فوق أن هذا الأثر له علاقة وطيدة بالمثيرات التي تلعب دورًا في نسج هذا الحلم، طبقا للقواعد التي وضعها فرويد.

أما الناحية الشخصية التي يتدخل فيها الحالم نفسه فهي تفسيره الخاص الذي يصنعه للأثر الذي يمر به أثناء الحلم، وما الانفعالات التي يصفها الشعراء في أِعارهم إلا مثالا لما ذكرنا، من خبراتهم الخاصة في

---

[١] Sully: Sleep, Dreams and Hallucinations.

مواقف مشابهة سابقة مروا بها.

فتفسير الأثر على ذلك هو استعادة الخبرات المرتبطة بالموضوع والتي تناسب الانفعال الذي يمر به، فالشخص يسلك في الحقيقة أو الخيال، نفس الطرق المناسبة التي تؤدي إلى التخلص من الأثر المنتظر، والتخلص من التوتر العقلي، ثم استعادة التوازن النفسي، وهذا ما يبدو أنه وظيفة الحلم، فإذا ما كان التوتر النفسي كبيرا إلى درجة لا يمكن معها التخلص منه عن طريق النشاط مثالي، فإن اليقظة تحمل الحالم إلى عالم الحقيقة، وهناك مرحلة متوسطة يستمر فيها نشاط من نوع ما بينما الحالم لا يزال نائما، وفي هذه المرحلة يقوم الحالم بأعمال قد تكون موضحة وممثلة للمادة التي يشتمل عليها الحلم أو التي يبدو ألا علاقة لها بتاتا بمحتويات الحلم.

وهاك قصة حلم لصبي في هذا الصدد، فقد حلم هذا الصبي، ليلة رحيله من المنزل إلى معسكر الكشافة، أقول حلم بهذا المعسكر نفسه وأخذ يتجول في أنحاء المنزل وهو لا يزال نائما، يبحث في أماكن عدة عن قطع من الخشب للنار المطلوب إشعالها في وسط المعسكر Camp Fire، ويشكو من أنه لم يتمكن من العثور على ذلك الخشب، ولسوء الحظ فإن سجلات على السير أثناء النوم لا تكاد تهتم، أو قل هي خالية تماما من موضوع الأحلام التي يحدث فيها سير أثناء النوم، ولكنها تقص فقد منظر الأعمال العجيبة الرائعة التي تحدث في حالة النوم نفسها.

فإلى أي حد إذن، يمكن أن نعتبر الحلم محاولة للتخلص من الأثر الذي يسببه المثير الصناعي، عن طريق عمل خيالي يتصوره النائم الحالم؟ وإلى أي حد أيضا يمكننا أن نعتبر الحلم المزعج مثلا خاصًا تفشل فيه تلك المحاولة بسبب ازدياد الأثر وتطرفه في أثناء تطور الحلم؟ ويجب أن نذكر دائما أن الأثر الذي يسبب اليقظة ليس من الضروري أن يكون هو نفس الأثر الذي يعمل الحلم على التخلص منه، لأن هذه هي وظيفة الحلم، كما سبق القول.

عودة إلى تحليل الحلم المزعج

فإذا عدنا إلى الحلم المزعج الأول الذي ذكرناه، وهو الحلم الخاص بالطفلة الصغيرة والكلب الضخم نجد أن الرغبة التي لم تحقق والتي تحاول أن تشبع في حياة النوم إن هي إلا رغبة الطفلة في التسلية بلعبها، فإن لعبها قد قاطعته وأوقفته فترة النوم، فيمكن لهذه الرغبة أن تحقق عن طريق حلم يمثلها وهي تذهب إلى الحظيرة التي تحتفظ فيها بلعبها متحدية رغبات أمها.

ولكن عن طريق الترابط **association** تسترجع البنت مسألة الكلب، ومع هذه الذكرى تسترجع الأثر الذي يطلب عملا لا يمكن أن يتم إلا في حالة اليقظة التامة أو اليقظة الجزئية.

وهنا تقابلنا ظاهرة من ظواهر الحلم المزعج تجعلنا نسترجع إلى الذاكرة ظاهرة أخرى هي الخبرة المصبغة بصبغة انفعالية شديدة، فمن الأشياء المألوفة في التحليل النفسي أن استعادة فترة مرت عليها يد

النسيان إلى الذاكرة تستتبع اصطحابها بخبرة انفعالية شديدة، فنجد أن الشخص يقص، أثناء التحليل؛ هذه الخبرة بطريقة تمثيلية تختلف تماما عن الطريقة التي اعتاد أن يتحدث بها؛ إذا ما فكر في شيء نسيه في حياته العادية.

فنجد هذا الشخص وقد أصابه البكم أحيانا، فيقول إنه لا يمكنه أن يتحدث إذا ما أصر المحلل النفسي على النظر إليه، وقد يتلعثم، ويحمر وجهه خجلا، ويقف الكلام في حلقه كأنه يختنق، ويحرك ذراعية حوله في الهواء، ثم يسير في الغرفة على غير هدى ذهابا وجيئة، فهو يسلك كما لو كان يمر بتجربة أو خبرة حقيقية، وإذا ما حدث هذا مرة، فإنه يصبح في إمكان صاحبنا أن يتحدث مستقبلا عن خبرته بهدوء.

ومن ناحية أخرى، فإن المادة التي يتكون منها الحلم المزعج لا يحلم بها مرة واحدة في حلم مملوء بالانفعالات الشديدة؛ وإنما تكون عناصرها أحلاما متعددة كثيرة، وعلى هذا فإذا حدث شيء مشابه للصبغة الانفعالية الشديدة، أو يمكن مقارنته بها، أثناء الحلم المزعج، فإن هذا الشيء يكون ذا طبيعة انفعالية جزئية وليست صبغة تامة الشدة، ويحبذ هذا الرأي ما لاحظه ريفرز فيما يتعلق "بأحلام الحرب"، فقد وجد أنه بمرور الزمن يضعف الأثر إلى حد أن الحلم لا يسبب يقظة مفاجئة، ويقول ريفرز إن بعض الأحلام كانت تتميز بصبغة انفعالية جزئية أو ما يشبه الانفعال.

ومن ناحية ثالثة يمكن أن نقول إن عملية عقلية أخرى كانت تلعب دورها وهي عملية "الكبت"، وإن العناصر التي تسبب انفعالات شديدة تكتب وحسب، ولهذا السبب لا تظهر في الحلم.

ولو حللنا أحلام الحرب هذه نلاحظ أنه عند بدء حدوثها، كانت تمثل ساحات القتال أو فترات القتال كما لو كانت حادثة واقعية تماما، ونجد أن الأثر كان حادًا شديدًا إلى درجة أن اليقظة كانت النتيجة المحتومة، أما في الأحلام التي حدثت بعد ذلك فإن مناظر الساحات وفترات القتال كانت تعدل بطرق شتى عن طريق الحذف والاستبعاد ولذا كان الأثر أقل عنفا وشدة.

ولقد اتضح من أبحاث الكثير من العلماء في هذه الناحية أن العناصر البارزة والأشياء والمواقف التي لا يمكن نسيانها ليست هي التي يحتفظ بها العقل أثناء الحلم، وإنما هذه الأشياء بعينها هي التي تحذف وتستبعد، إنها هي التي تكتب.

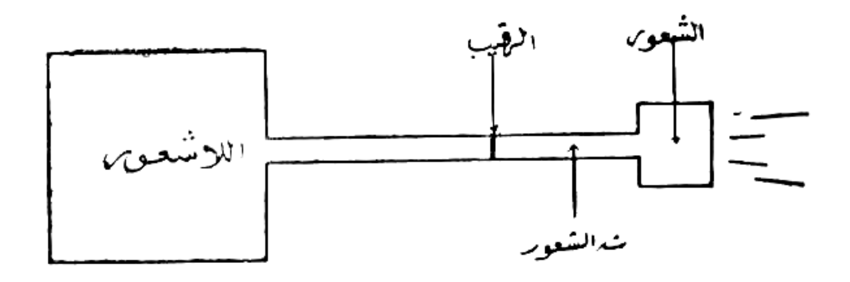
وفي الحقيقة فنحن نعرف القليل عن كنة الكبت، فلا نعرف مثلا ما هي العمليات العقلية التي تمنعنا من تذكر الفترات الحرجة التي بسبب حدتها وقوتها وشدتها كان من المفروض أن تترك أثرًا عميقًا في العقل إلى درجة أنه يسهل استرجاعها؛ طبقًا لنظرية التذكر السائدة، ولكننا نعرف فقط أن هذه العمليات يبطل مفعولها وعملها فجأة ومن غير سابق إنذار في بعض الأحيان إلى درجة أن الاسترجاع يكون سريعًا كالبرق، فإذا سألت الشخص المختبر سؤالا مباشرا، كانت الإجابة مباشرة أيضا، بل

وأسرع من السؤال.

وفي بعض الأحيان الأخرى تؤدي الترابطات المختلفة إلى نهايات ونقط كأنها حلقات مفرغة، ولا يدري المختبر لذلك سببا؛ وقد يجد السبب فجأة إذا أمكنه استرجاع عنصر يكون قد نساه تماما، والمهم أننا لا نعرف كيف تحدث هذه العمليات، ويقول ماكدوجل إن سبب هذه العمليات هي ازدياد المقاومة، ولكننا نتساءل أيضا: ما هي مقومات هذه المقاومة الزائدة؟

وكل ما نعرفه عن الكبت، كتعبير مستعمل في علم النفس الحديث أنه يتضمن شيئًا ما قد استبعد من الشعور، أو قد منع من الدخول إلى دائرة الشعور حتى أنه لا يمكننا أن نفكر فيه.

أما وقد ذكرنا دائرة الشعور فيحسن بنا أن نبين هنا كيف يمكن تشبيه العقل الآدمي:



العقل

غرفة ضئيلة الحجم جدًا مضاءة أحسن إضاءة يشع وهجها إلى الخارج، وتتصل هذه الغرفة بغرفة أخرى بالغة الاتساع، حالكة الظلام أشبه شيء بمخزن معتم كبير الحجم إلى حد بعيد، ويتم هذا الاتصال بوساطة ممر ضيق يقف في وسطه حارس، يسهر على مراقبة عدم مرور شيء أولي غريزي مهذب من المخزن المعتم إلى الغرفة المضيئة البؤرية، فهذه الغرفة المنيرة الظاهرة هي الشعور **Consciousness** أما المخزن المظلم فهو اللاشعور **Unconsciousness**المملوء بالغرائز الموروثة والانفعالات المكبوتة والعقد التي تؤثر في سلوكنا بطريق مقنع غير واضح ولا نشعر به في غالب الأحيان، ويطلق بعض العلماء النفس على الممر الضيق بين الحجرتين اسم شبه الشعور **Subconscious**، أما هذا الحارس فهو الرقيب **Super – ego** الذي لا يسمح لشيء بالظهور في دائرة الشعور أن لم يكن ملائما للمجتمع أو مقنعًا في صورة ملائمة، وقد يفعل هذا الرقيب أحيانا فتظهر فلتات الكتابة أو أحلام اليقظة أو أحلام الليل.

وهنا يجب أن نؤكد أن دائرة اللاشعور المظلمة هي أهم مناطق العقل فهي تحوي كما قلنا العقد التي تترسب في أيام الطفولة والغرائز جميعها وأهمها، طبقا لفرويد**Freud**، الغريزة الجنسية، التي تؤثر في سلوكنا وفي حياتنا ليل نهار، سواء شعرنا أو لم نشعر، فهي التي تدفعنا وتسيرنا للقيام بكل عمل، ظهر لنا ذلك أو لم يظهر.

وقد ذكر فرويد[1] مثالا يبين فيه الطريقة الميكانيكية لدفع الرغبات من الشعور إلى اللاشعور، قال:

لفرض أن بين المستمتعين هنا في القاعة شخصًا مشاغبًا، يحاول الضحك والعبث والتحدث أو النقر بالقدم، فهذا يكون سببا في تحويل انتباهي عما ألقيه عليكم، فأوضح لكم بدوري أنه لا يمكنني الاستمرار في الإلقاء بينما يسلك هذا الشخص مثل هذا السلوك، وعلى هذا يقوم بعض الأقوياء منكم، بعد نضال قصير، بطرد هذا المهرج أو معكر صفو السلام خارج القاعة.

فالآن قد كبت هذا الشخص خارجا، ويمكنني أن أستمر في محاضرتي ولكن إمعانًا في الاحتياط، ولي لا تعاد المقاطعة مرة أخرى، إذا ما حاول هذا الشخص الدخول بالقوة إلى مكانه في القاعة، فإن الرجال الذين نفذوا اقتراحي الأول يأخذون مقاعدهم إلى الباب ويجلسون هناك بمثابة رقباء يمنعون المهرج وينفذون الكبت، فإذا انتقلنا إلى النفس البشرية وطبقنا هذا المثل عليها، فإننا نسمى عندئذ القاعة (شعورًا) والخارج (لا شعورًا).

وهذا مثل واضح جلي لعملية الكبت، ولكن ليس معنى هذا أن الصراع قد انتهى، إذا ما انحدرت الرغبة إلى اللاشعور، لأنه طبقا لإيضاح فرويد في المثل الذي ضربه، لم يكبت المهرج ويمنع منعًا باتًا، فمع أنه لم يعد إلى قاعة المحاضرات، إلا أنه قد يوقف سير المحاضرة أكثر من

[1] من محاضرة ألقاها فرويد في جامعة كلارك Clark عن أسس التحليل النفسي.

الأول، بقرعه على الباب بقبضة يده، أو بصراخه.

فبينما تكون الرغبات خارجًا في اللاشعور إلا أنها لا تزال موجودة لكنها قابعة مترقبة سنوح الفرصة لتعود إلى الظهور على مسرح الشعور.

ومن الأمثلة التي ذكرها مكدوجل Mc. Dougall عن مرضى الحرب حالة جندي نسى نسيانًا تامًا أنه كان في الجيش العامل، وأن حربا كانت قائمة بالفعل أو أنه كان يحارب بفرنسا، ونسى آخر نسيانًا تامًا حركات المشي إلى حد أنه لكي يتقدم في العلاج كان يزحف كالأطفال على أرضية المستشفى بالرغم من أنه شخص بالغ خال من أي عاهة جسمية أو إصابة.

وقد دل البحث على أن نسيان الشيء في هذه الحالة الأخيرة لم يكن هو الهدف المباشر لعملية الكبت، وإنما كان الهدف نسيان الركوب إذ أن هذا الشخص بالذات كان قد درب على ركوب الخيل قبل أن يتعلم المشي.

أما في حالة الجندي الأول، فإن الموقف الذي وجد نفسه غير قادر على مواجهته كان موقفه في الجيش وكجندي يحارب فعلا في فرنسا.

ويلعب الكبت دوره عندما يجد الإنسان نفسه أمام موقف أو مشكل لا يرغب في مواجهته، ويعد الحلم المزعج الخاص بالبنت الصغيرة، بعد تجربتها القاسية مع الكلب الضخم، خير دليل وأحسن

مثال لهذا النوع من المشاكل، ويمكن تحقيق عدد من الرغبات وإشباعها عن طريق خلق موقف مفزع نخشاه.

ولتوضيح هذا الموقف نذكر حلما مزعجا استمر حدوثه في أثناء مرحلة الطفولة، يقول الرجل صاحب الحلم: "إنه كان يحلم أنه يقف على تل أو صخرة مرتفعة، ويحاول أن يعبر إلى تل أو صخرة أخرى فوق جسر خشبي شيق يصل بين الصخرتين أو التلتين وتحته هوة سحيقة، وكان يصحو دائما في فزع وانزعاج عندما كان يبدأ في وضع قدمه على الجسر ليخطو الخطوة الأولى". فالحلم المزعج يبدو دائما أنه يمثل موقفا يمر فيه الحالم من اللحظة الحاضرة إلى تحقيق رغبة ما عن طريق موقف ممزوج بالفزع.

والمشكلة الحقيقية العملية للموقف تنحصر في الوصول إلى تحقيق الرغبة بطرق تختلف عن الطريقة التي تسبب الفزع، والفزع أعلى درجة من الخوف حيث أن الخوف الغريزي البسيط يصاحب عادة سلوكا: يمكن تكييفه وتشكيله.

أما في الحلم المزعج فإن الحالم يواجه موقفا لا يمكنه أن يكيف نفسه إزاءه، ولا يدري كيف يسلك. فالبنت الصغيرة لا يمكن أن تكيف نفسها بنجاح إزاء الموقف الذي تتعرض فيه لكلب ضخم يدفعها ويقفز فوقها، كما لا يُمكن الولد الصغير (الذي ذكرنا حلمه الدائم آنفا) أن يعبر هوة سحيقة فوق جسر ضيق، وليس أمامنا إلا أن نفترض أن رد الفعل العميق الذي يؤثر على الجسم كله يخدم هدفا حيويا (بيولوجيا)

ينحصر في وضع جميع الأفعال في سلسلة مرتبة لعل وعسى واحدا منها ينجح عن طريق الصدفة ومجرد الصدفة، وبمعنى آخر فإن هذا الانفعال العميق هو الحلقة الأولى التي قد تصيب أو تخيب في سلوك المحاولة والخطأ الذي لا دخل للذكاء فيه بتاتًا.

ولنضرب لذلك مثلا بحلم مزعج حدث لرجل وما تبع ذلك من خطوات ونتائج: "فقد حلم الرجل أن المنزل يحترق، وسمع المرأة والأطفال الذين كانوا ينامون في الحجرة المجاورة لحجرته يندفعون نحو السلم مارين ببابه، وهم يصرخون "النار! النار!".

فاستيقظ الرجل في حالة فزع عظيم وقفز من فراشه، وعبر غرفته إلى ناحية صوان الملابس والتقط رداءه (روبه) ولبسه، ثم لاحظ أنه لم يكن بغرفته أي أثر لوهج، كما كان يتوقع أن يجد، لو أن الجزء السفلي من المنزل كان يحترق، ثم بدأ يفكر، قبل أن يحاول الهرب، في أنه من المستحسن أن يكتشف إذا كانت النار مشتعلة في واجهة المنزل أو خلفه، وذهب إلى النافذة ورفع الستائر وأطل خارجا ولكنه لم ير أثرا لأية نار، ففتح باب غرفته وأنصت، فسمع أصواتا أكدت له أن ساكني الغرف القريبة من غرفته كانوا لا يزالون بها، وعندئذ سار ببطء متجها إلى غرفة الجلوس الخاصة به في الدور السفلي واكتشف حينئذ أنه لم يكن هناك أي حريق إلا في أحلامه هو، فعاد أدراجه إلى فراشه.

ويتضح لنا جليًا الفرق الشاسع بل التباين الصارخ بين النشاط الفطري عندما كان الرجل لا يزال تحت تأثير الفزع والانزعاج من الحلم وبين السلوك الذكي حالما بدأ يفيق ويعمل.

ومن المعروف جيدا أن الإنسان تحت تأثير انفعال قوي يجب أن يعمل وأن يعمل بسرعة، وكلما تأخر العمل كلما ازدادت حدة الانفعال وشدته، ولهذا السبب نجد أن الناس تغني وترقص وتصيح وتجري وتمشي وتقاتل أو تقتل وهي تحت تأثير الانفعال، فإذا ما انتهت حدة الانفعال وزالت شدته فإننا نفكر في الوقف بهدوء ونصل إلى حل "ذكي" (يستخدم فيه الذكاء". وتسند أهمية عظمى للحقيقة التي تقول إن الانفعال يضطر الإنسان للعمل بشكل ما، ويساعدنا هذا في معرفة ووظيفة الانفعال وإدراك طبيعته، وهذه هي وظيفة الانفعال النزوعية، أما وظيفته الإدراكية كما يشير إليها "ماكدوجل" فهي ذات أهمية كبيرة أيضا، إذ أن الانفعالات تبن لنا "طبيعة ردود الأفعال الغريزية للأشياء" وهي كذلك "الأساس الإدراكي لمعرفة النفس وضبط النفس".

ويختلف العلماء في تفسير الانفعال، فمن ناحية، يعتنق "مكدوجل" النظرية القائلة إن الانفعال هو مجرد اللون الشعوري للدافع الغريزي، بينما من ناحية أخرى يميل "دريفر" وآخرون معه للاعتقاد بأن الانفعال لا يتم أو يحدث إلا إذا كانت هناك عوائق أو صعوبات تعترض أو توقف الميول الطبيعية للعمل.

ولا يُمكننا انفعال الحلم المزعج أن نصل إلى قرار بين وجهتي النظر المختلفتين، فإذا كان الخوف من النوع الغريزي هو الانفعال الوحيد الذي أحست به الطفلة التي رجعنا إليها كثيرا في الحلم السابق ذكره، فلم يكن ثمة داع لهذا الإسراف في السلوك الذي رأيناه، فالاختباء سهل لطفلة ترقد في الفراش، فليس عليها إلا أن تخبئ نفسها تحت الأغطية.

ولكن الموقف الذي نعالجه أكثر تعقيدًا من موقف الخوف الغريزي البسيط، الذي يكون الاختباء هو رد الفعل المناسب له، فالطفلة تجري تجاه المكان الذي تحتفظ فيه بلعبها، ومشاعرها في نفس الوقت مشوبة بالسرور للرضى الذي تتوقع الحصول عليه والإشباع الذي تنتظره، ثم تنقلب المسألة رأسا على عقب فيثير نشاط الكلب غضبا وثورة وميلا لمقاومة الكلب ومقاتلته أو إلقائه جانبا على الأقل، وفي نفس الوقت نجد أن الكلب سبب مثير للخوف، وصفة الكلب كمثير للخوف أوضح وأكثر فهما من صفته كمثير للغضب والمقاتلة، ولدينا في الوقت نفسه ميول لثلاثة أنواع من السلوك والنشاط – فإما أن تستمر البنت تجاه اللعب أو تبعد الكلب أو تجري بعيدًا عن الكلب، فالنشاط الأول يدفع الطفلة إلى التقدم للأمام، والثاني يدفعها أن تبقى حيث هي، بينما السلوك الثالث يدفعها أن تجري للخلف، ويبدو أن السلوك كله يجب أن يكون ذا طبيعة ميكانيكية، وفي الحلم المزعج نجد أننا نواجه أثرا نشأ عن إثارة ميول غريزية ولكن هذا الأثر خليط مركب من هذه الميول التي

تبطل مفعول بعضها البعض إلى حد أن هذا السلوك لا يتناسب مع الموقف كله، بينما نجد أن المشاعر المختزنة، والتي لا تجد لها مخرجا أصبح لا يطاق احتمالها.

ولما كانت مواجهة المشاكل تثير في نفوسنا نوعًا من رد الفعل الانفعالي، فإننا نجد أنفسنا مضطرين أن نسلك سلوكا خاصا يرتبط بالانفعال الذي نشعر به، بل ونجد أنفسنا مضطرين أن نسلك هذا السلوك الخاص بهذه الطريقة الخاصة لكي نصل إلى حد هذا المشكل، وهذه هي المظاهر الذاتية والموضوعية لحل المشاكل، فالطريقة التي نقابل بها موقفا "مزدوجا" هي أن نتجاوب بطريقة ما مع الانفعال الذي نشعر به، وهكذا يمكننا أن نحد من شدته، ولكن مع هذا يتبقى في نفوسنا بعض الأثر لهذا الانفعال، متخذًا صورة "ميل" **Interest**، وتحت تأثير هذا الميل نفكر في مخرج مناسب من السلوك.

وهنا نذكر حلما يتميز بشعور حاد وانفعال شديد إلى درجة أن هذا الشعور استمر فترة طويلة بعد الاستيقاظ، ولو أنه في الحقيقة لم يكن شديدًا إلى الحد الذي يؤدي إلى التيقظ قبل أن يتم الحلم، كان الحلم لامرأة وزوجة أبيها متقاربين في العمر، ولما كان الوالد يتوقع بعض الصعوبات والمشاكل التي كان من الواضح أنه لا يمكن تجنبها، فقد زود أبنته بدخل خاص ومسكن خاص أيضا، ومنذ تلك اللحظة أصبح الرجل معقدًا مريضًا، ولكن الابنة التي ربيت ونشأت على الخوف من أبيها، كانت نادرًا ما تزوره إلا إذا دعيت فعلا للقيام بهذه الزيارة.

وحلمت هذه المرأة أن والدها كان مريضا وفي حالة يرثى لها من شدة الألم، وكان يصرخ بصوت مرتفع قائلا: الخبز! الخبز!– ولقد أظهرت محاولة اكتشاف وجود ارتباطات بين أجزاء الحلم، أقول أظهرت هذه المحاولة أن الوالد نادرا ما كان يأكل الخبز، إلا إذا كان مقددا بينما كانت الابنة تأكل كمية كبيرة من الخبز وتحتفظ عادة بكمية كبيرة في المنزل أيضا، فعلى ذلك كان الأب يصرخ طالبا شيئا يمكن ابنته أن تعطيه إياه بسهولة وتلبي طلبه، بينما يندر أن تعطيه زوجته الجديدة ما يطلبه (الخبز)، أو قد لا تلبي طلبه بتاتا، وفي كلمات أخرى يمكن أن نقول إن الحلم خلق موقفا كان الأب فيه في حاجة لابنته أكثر مما هو في حاجة إلى زوجته الجديدة، ولكن نلاحظ أنه في نفس الوقت قد حرم الأب من صفة الرهبة والفزع التي كان يسببها لابنته، وذلك بسبب جعله في الحلم ضعيفا عاجزا، ولقد تحدثت الحالمة عن الانفعالات التي كانت تمر بها، كالغضب نحو زوجة أبيها والناس الذين حوله بسبب حرمانهم له من شيء تافه يلح في طلبه، كما تحدثت عن شعورها بالأسف لحالة والدها ومتاعبه والحنو والشفقة عليه، فالحلم بهذا الشكل إن هو إلا حل صحيح موفق للمشكل الذي كانت تواجهه هذه المرأة، فهو الطريق الذي أمكنها بسلوكه أن تنتصر على زوجة أبيها وتحتفظ بحب والدها لها، كما أن الحلم أيضا قد أشبع فيها، إلى حد ما، رغبتها في عمل شيء لتحسين علاقتها بوالدها تحت ضغط علاقاتها الانفعالية به فيما سبق.

ولقد سبق أن تحدثنا عن الأحلام المزعجة التي كان يحلمها، أثناء الطفولة، الرجل الذي تخيل نفسه وهو يحاول أن يعبر من تل إلى آخر بوساطة جسر ضيق، فهذا الرجل لم يعد في رجولته مثل تلك الأحلام المتكررة أثناء طفولته، أما الآن فهو يحلم من آن لآخر: "أنه يجد نفسه في منبر الخطبة (مكان الوعظ) في كنيسة بروتستنتية، ولكنه يكتشف بعد لحظة أنه قد نسي كل ما كان يعرفه من التراتيل والكتب المقدسة، ثم يشعر أنه غير قادر على التصرف وأنه كالتائه.

ولما كان هذا الرجل قد نشأ في بيت كاثوليكي، ورباه أبوه على معارضة الكنيسة البروتستنتية، فإنه بهذا الحلم قد نجح بالتأكيد في عبور هذه الهوة التي كانت تفصل بين تعاليم والده الدينية وبين الموقف الذي اتخذه لنفسه في منبر الخطبة ومكان الوعظ.

وهناك بعض الأحداث التي مر بها هذا الرجل والتي لها علاقة بالحلم: فمنذ بضع سنوات تخرج الرجل في الجامعة وكان كلما زار بلدته في الريف، دعي للوقوف في منبر الخطبة في الكنيسة الكاثوليكية، باعتباره خريج جامعي ومن عائلة كاثوليكية محافظة، ولكنه كان يفعل هذا من غير ما رغبة وبتضرر، ولو أنه لا يذكر أنه لم يحسن ما وكل إليه القيام به ولو مرة واحدة، وفي ذلك الوقت كان يشعر بميل وتعاطف نحو الكنيسة البروتستنتية لأسباب ثقافية خاصة برجال الدين، ولم تكن ميوله مبنية على دراسات دينية، كما ذكر هو، وإنما كان الدافع أو السبب اجتماعيًا.

وعلى ضوء هذه الحقائق وعلى ضوء تفاصيل الحلم ووقائعه، فإنه من المُمكن أن نرى بوضوح كيف يفسر هذا الحلم بدقة ما عبر عنه الحلم المزعج، فقد أظهر الحلم المزعج الرغبة في الهروب من الموقف الحاضر إلى موقف آخر محبب إليه، والصراع بين هذه الرغبة والرغبة في البقاء في موقفه هو، كما تظهر وقائع الحلم أيضًا في حياة هذا الرجل، فلم يترك الكنيسة الكاثوليكية كما لم ينضم إلى الكنيسة البروتستنتية، ومع أنه من المفروض أنه لازال عضوًا في الكنيسة الكاثوليكية إلا أنه في واقع الأمر لا يذهب إلى أي مكان ما، أو قل نادرًا ما يذهب إلى الكنيسة.

ومن أمثلة الأحلام المزعجة المشوقة، حلم امرأة كانت زوجة ملاح (بحار)، وقبل أن نسر الحلم يحسن بنا أن نتذكر ونذكر أن زوجات البحارة (الملاحين) يقطن شققًا صغيرة، وذلك بسبب تغيب أزواجهن لمدد طويلة عن المنزل، وغالبا ما تعمل هؤلاء الزوجات أيضًا لمعاونة أزواجهن لضآلة مرتباتهم.

وهذه المرأة التي نحن بصددها كانت من أولئك الزوجات، وكان لها طفل صغير، وذات ليلة حلمت "أن طفلها قد مات ورأت بشكل غير واضح في الغرفة التي حلمت أنها تعيش فيها، أقول رأت شقيقتها التي كانت قد انتقلت إلى الرفيق الأعلى منذ سنوات عدة".

وعندما طلب منها المحلل النفسي أن تحدثه عن هذه الشقيقة ذكرت في سياق الحديث أن شقيقتها هذه كانت أكبر منها سنًا وكانت تسيطر عليها أيام أن كانت طفلة صغيرة، وتذكرت بشكل واضح كيف كانت شقيقتها هذه تدفعها للعمل في المنزل في الوقت الذي كانت هي تود من صميم فؤادها أن تقرأ، كما استعادت إلى ذاكرتها أيضًا إحدى المناسبات عندما وجدتها شقيقتها تقرأ كتابًا وكما كان ينبغي أن تنظف الغرفة، واسترسلت تقول إنها كانت تعترض على تدخل شقيقتها في قراءتها الخاصة ولا تستسيغه، كما كان اعتراضها أشد وعدم استساغها أقوى للطريقة التي كانت تمنعها بها شقيقتها من تعلم الموسيقى، وذكرت أن شقيقتها كانت تمنع كل محاولاتها للتمرن والتدريب على البيانو، وأنه على النقيض كانت الشقيقة تصر على أن تكون للأعمال المنزلية الأولوية بدلا من الموسيقى، ولما جاء ذكر الموسيقى استطردت الزوجة إنها كانت تتوق دائمًا أن يكون لها "مستقبل موسيقى"، وإنها لا زالت تشعر بامتعاض وعدم رضا نحو شقيقتها التي وقفت حائلا دون تحقيق رغبتها هذه.

وأضافت قائلة إنه في اليوم الذي رأت فيه الحلم كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق رغبتها، إذ أن صاحب إحدى دور السنيما المجاورة كان قد عرض عليها أن تعمل عازفة بيانو في تلك الدار، وكانت إجابتها لهذا العرض هي: كيف أستطيع أن أقوم بعمل كهذا، ولي طفل رضيع، علي أن أعنى به؟".

وهكذا يبين الحلم الشخصين اللذين وقفا في سبيل هذه المرأة، وكان أحدهما باهتًا معتمًا لا يمكن تميزه إلا بصعوبة، بينما كان الآخر من الأموات.

وفي هذا الحلم الأخير أوضح برهان يمكن الحصول عليه للصراع بين ميلين: الميل للأمومة، وحب الذات، على التوالي، ولكن لا يجب أن يؤخذ الحلم كبرهان على أن الميل الخاص بحب الذات أقوى من الميل للأمومة، ويجب ألا يغرب عن البال أنه في الحياة الواقعية تشبع الميول الخاصة بالأمومة عن طريق العناية الفعلية بالرضيع، وبامتلاك الطفل، أما الميول الخاصة بحب الذات فهي التي لا تشبع في الواقع والتي تمثل في الحلم موقفا تشبع فيه بطريقة مثالية، فلو أن الم في قصتنا هذه قد أعدت العدة لكي تهمل حاجات المومة وتقبل العمل الذي عرض عليها، لكنا قد عرفنا نوعًا من الحلام تظهر فيه الحاجة إلى إشباع أمومتها أكثر وضوحًا من دوافع حب الذات.

الفصل الثالث

كيف تشبع الميول في الحلم المزعج؟

إذا ما دققنا وأمعنا النظر في الحلم المزعج، نجد أن ما يسبب الإزعاج في معظم الحالات يشبع ميول الحالم الذاتية في الوقت نفسه.

وهاك حلمًا من هذا النوع بالذات: والحالمة أن انتهى ابنها من دراسته في الكلية البحرية، وفي الليلة التي كان على الابن أن يتوجه لاستلام عمله والالتحاق بسفينته لأول مرة في حياته العملية، حلمت الأم: "أنها رأت ابنها، وكأنه طفل، راقدًا في فراشه مريضًا".

فهكذا قد خلقت الم موقفًا يبدو فيه الابن، طفلا صغيرًا قعيدًا، وفي حاجة إليها، وبهذا الموقف يمكن الأم أن تشبع ميول الأمومة إشباعًا تامًا، وحقًا إنها تضحي بسعادته وصحته لكي يتم إشباع ميولها.

وهكذا يظهر لنا جليًا وجود صراع بين رغباتها في أن ينجح ابنها في الحياة، وميولها في أن يبقى هذا الابن معتمدًا عليها.

وفي الحلام الأخيرة التي ذكرناها آنفًا، نجد مواقفًا مشابهة تشبع فيها بعض الميول الخاصة، ولكن للأسف لم يشعر الحالم عند تيقظه في أي من هذه الأحلام بالشعور الذي يعتبر علامة مميزة لإشباع الميول.

فالأم التي رأت ابنها مريضًا في فراشه وعلى ذلك كان في حاجة إليها، استيقظت وهي تشعر بالأسف العميق، والمرأة التي حلمت أن رضيعها قد مات استيقظت وهي في حالة يرثى لها من الألم والضيق ثم أخذت تعاني من القلق والأسى طوال اليوم التالي، والرجل الذي حلم أنه يقف في منبر الكنيسة البروتستنتية استيقظ وهو شاعر بالضيق والقلق النفسي.

وليس في مقدورنا إلا أن نفترض أن الميول غير المشبعة، التي بسببها يتكون ويخلق الحلم من الذكريات القديمة، تشبع إلى حد ما، عندما يظهر موقف يُمكن أن يقوم فيه الحالم بعمل مناسب.

ولذا تقل درجة حدة الانفعال طالما كان القيام بعمل ما أو نشاط ما ممكنًا، فالأم مثلا يمكنها أن تقبل الوظيفة التي عرضت عليها بعد أن توفى طفلها ولم يعد له وجود يمنعها من تقبلها، والأم الثانية في الحلم الآخر يمكنها أن تشبع ميول الأمومة عن طريق عنايتها بابنها الطفل المريض، والرجل الذي قطع علاقاته نهائيا بوالده وجعل بينه وبين أبيه هوة باحتلاله منبر الكنيسة البروتستنتية، يمكنه أن يعمل ما يحلو له كيفما يتطلب الموقف، والابنة التي يتلهف أبوها إلى الخبز يمكنها أن تزيح زوجة أبيها جانبًا وتأخذ محلها إلى جوار والدها.

وهكذا ينبغي أن يستخدم الموقف في إزالة حدة الانفعال والتخفيف من أثر التوتر النفسي، ويجب في هذه الحالة أن نتوقع أن ينتهي الحلم بشعور سار له درجة خاصة من الحدة والشدة، ولكن للأسف لا يحدث

شيء من هذا القبيل، ولم يحدث في أي من الحلام المزعجة المذكورة، والذي يحدث فعلا هنا يجعلنا نفترض أن عاملا جديدًا يظهر على المسرح ويقوم بدور إيجابي بعد أن يخلق الموقف ويصبح جزءًا من الحلم، فالرجل الذي يقف في منبر الكنيسة البروتستنتية يشعر فجأة أنه في موقف لم يعد نفسه له أقل إعداد، وتتحقق المرأة أيضًا أن ابنها قد مات ويملأ هذا المنظر قلبها أسى، كما تتحقق الأم من مرض طفلها وتألمه ولذا تأخذها الشفقة، وتتحقق الابنة من أن والدها في حالة ألم شديد فتتألم لألمه وترثي لحالته.

وتدلنا حقيقة الاستعراض الدقيق للموقف في الحلم على أن الحالم قريب من اليقظة، وأن حالة النوم خفيفة للغاية إلى حد أن الحالم يمكنه أن ينقد بذكاء محتويات الحلم الظاهرية، وتدل هذه الحقيقة أيضًا على أن الحلم في هذه المرحلة يختلف اختلافًا كبيرًا عنه في المراحل المبكرة السابقة.

وهكذا تتوقف عملية تكوين وإنشاء الحلم، طالما لا يمكن الحالم أن يصل إلى أي نوع من الرضا والإشباع، وتبدأ هنا عملية النقد.

واللحظة الهامة في الحلم المزعج هي تلك التي عندها يظهر الموقف كاملا في صورة مناسبة كما هو الحال في الطفل المريض أو الرضيع الميت أو الأب المتألم.

وقد يكون الانفعال شديدًا لدرجة أن الحالم يستيقظ من نومه، كما هو الحال في حلم الطفلة والكلب، ويستمر النشاط الملائم للموقف في حياة اليقظة.

ومن ناحية أخرى، فإنه من الممكن أن يتغير الموقف بطرق يتعدل معها الانفعال تعديلا كبيرًا، وتكون النتيجة الشائعة للحلم هي القلق أو الضيق النفسي أو الألم النفسي مما لا يتحقق في اليقظة.

ولا نعرف سببًا أكيدًا لهذه التطورات المختلفة، أما إذا كانت فكرتنا عن طبيعة الانفعالات المركبة التي نطلق عليها اسم "الانزعاج أو القلق" صحيحة، فإنه يمكننا أن نعتقد أن عدد العوامل الانفعالية الأولية له أهميته القصوى، وإذا ما ازدادت درجة الخوف إلى حد بعيد، فإن الدافع للهرب يكون سريعًا لدرجة أنه لا يعطي فرصة لأي تفكير، ولا يتعرض موقف الحالم عندئذ لأي نقد أو تطور أو تغيير.

وخير مثال لهذه الحالة ما حدث في أحلام "صدمات الحرب" التي سبق التحدث عنها.

ومن المسلم به غالبًا أننا نجد حلولا لمشاكل اليقظة في أحلامنا، ولما كان من المفروض أن وظيفة الحلم هي خلق موقف ما، تشبع فيه الميول والرغبات التي لم تشبع في الحياة اليومية العادية، عن طريق عدد من المثيرات والدوافع الداخلية وما يرتبط بها من بقايا وآثار طافية، أقول لما كان خلق المواقف أساس عمل الحلم، فإنه يكون من الغريب ألا تنسجم هذه المواقف مع حياة اليقظة، كما أن الإنسان ليدهش إذا لم

يكن الموقف الذي يخلقه الحلم لإشباع ميل خاص متفقًا أو منسجمًا بأية حال مع موقف من هذا النوع في حياة اليقظة، وهذه هي الإجابة الكافية الشافية التي نرد بها على هؤلاء الذين يستخدمون أمثلة خاصة يبنون عليها نظرية الحلام، وغالبًا، ما يحدث أن يخلق مواقف لا غبار عليها ولا يمكن أن يوجه إليها أي نقد من ناحية كون الموقف لا يتعارض مع دوافع أخرى.

وفي المواقف التي تمثل أبًا يقاسي من آلام مبرحة، أو ابنًا في حالة مرض وألم، أو رجلا في مركز غير كفء له، أو طفلا على فراش الموت، نجد أن بعض الميول تشبع بينما تعطل وتعرقل بعضها الآخر، وهكذا يبدو أن هذه المواقف ليست حلا وسطا مرضيا.

فوجود الكلب في حلم الطفلة المزعج، بالرغم من أنه يسهل للطفلة السبل في حياتها الحقيقية لإشباع رغبات كثيرة والاستمتاع بها، إلا أنه يزيد عاملا يعرقل ويعطل تصرفها بحرية.

ومن الواضح أن وجود هذا العامل المعطل في الحلم إن هو إلا السبب في ازدياد درجة الانفعال الملحوظة التي تشكل الحلم وتجعله مزعجًا، ويتكون الحلم عادة ويتشكل لإشباع نزعة واحدة أو مجموعة من النزعات، وهكذا يخلق في غالب الأحيان موقف مضاد عدائي لا ينسجم مع اتجاه مجموعة أخرى من النزعات، ويحق لنا أن نذكر هنا أن تحليل "فرويد" الوصفي لعمل الحلم وتشكيله طبقا للدوافع والذكريات المتعلقة به، يتفق مع التفسير الذي أوضحناه.

ومع أن بعض أسس النظرية الفر يدوية هوجمت بشدة فإن عنصر "التناقض" فيها لم يكن له نصيب كبير من ذلك الهجوم، كما أتفق "يونج" أيضا مع أستاذه على أن للتناقض وجودًا وأثرًا واضحًا عند التعبير عن الميول الخاصة، إذ يظهر عادة إلى جانبها ما يناقضها أو يكون عكسها على خط مستقيم، ونعني بالتناقض هنا أن أي شيء أو شخص أو فكرة يشعر حياله أو حيالها الفرد بانفعال شديد، تكون هدفا لميول مضادة، ونتيجة وجود هذين الميلين المتناقضين هي أنه إما أن يتضح أحد هذين الميلين ويظهر في صورة عملية فعلية بينما يبقى الميل الآخر لا شعوريا ويعبر عن نفسه عن طريق الأحلام أو أي مخرج آخر من مخارج اللاشعور، وإما أن يكتشف حل وسط بين الميلين يتخذ صورا مختلفة تتفاوت بين انعدام القدرة تمامًا على الظهور بأي شكل من الأشكال وبين التعبير بصورة عملية تشبع الميلين المتناقضين في نفس الوقت.

وقد اكتشفنا في الأحلام المزعجة التي ذكرناها من قبل مواضيع وأهدافًا لها قيمة مزدوجة واضحة، فالغجر مثلا موضوع يثير الخوف ولكن ظهور الغجر في الحلم كان في نفس الوقت وسيلة للهروب من الأم، والمرض مكروه ممقوت إذ أنه مصحوب بالألم والخطر على حياة طفل محبوب، ولكن ذلك المرض نفسه يرجع بالطفل إلى الوقت الذي كان يعتمد فيه على أمه اعتمادًا كليًا، وموضوع المنبر في الكنيسة البروتستنتية يحمل معنى الانفصال عن الأب ولكنه في نفس الوقت

فرصة للذلة والانكسار، وهكذا الحال في بقية الأحلام، ولظاهرة التناقض هذه أهميتها الكبيرة في محاولة ربط النشاط الأساسي للبالغين بالميول الغريزية وربط هذه الميول نفسها بالانفعالات.

وهكذا يتضح في الحلام المزعجة أن موضوعات خاصة تظهر وقد صلح لها أكثر من معنى واحد، ولا يمكننا أن نقول إن أحد الميلين المتناقضين موجه إلى موضوع أو هدف غريزي، فالمنبر في الكنيسة البروتستنتية يحمل معاني تجعله مكروها ومحبوبا، ومهابا ومرغوبا فيه، في ذات الوقت، وفي الحياة الواقعية نجد أن هذا المنبر يحمل هذين المعنيين، كما يتضح من ذهاب الحالم إلى الكنيسة مرارًا قليلة متفرقة متباعدة، والبنت الصغيرة في "حلم الكلب" لا يمكن أن ترى كلبا ضخما من غير أن تفكير في المخاطرة التي حدثت لها عند باب المظلة الخشبية (الكوخ)، وهي تعرف أن الكلب شيء يثير الخوف، ولكنها لا تعرف أن هذا الكلب نفسه يمثل رغبتها في التسلية بلعب شقيقها وجعلها محل رعاية وعطف أمها القلقة عليها، ولم تفهم البنت المعنى الذي أصبح يلازم الكلب إلا بعد تحليل هذا الموقف الأخر لها، وهكذا أمكن أن نجعل البنت تسلك سلوكا حذرًا معقولا إذا ما رأت كلبا ضخمًا غريبًا بدلا من أن ينتابها الفزع المبني على غير أساس.

وإذا حاولنا تفسير الظواهر التي لاحظها "ريفرز" على مرضى "صدمة الحرب"، لا نجد لها تفسيرًا إلا هذا التناقض حيال تجربة (قصة) المعركة، وتعود قصة المعركة بين الفينة والفينة إلى عقول هؤلاء المرضى

لأنها تحمل معنى يجعلها موضوعًا مرغوبًا فيه، وفي نفس الوقت يحاول المرضى أن يبعدوا هذه القصة (التجربة) من عقولهم لأنها مصبوغة بالكراهية والمقت، وتظهر في أحلامهم في صورة رغبة غير مباشرة أو موضوع رغبة غير مباشرة.

وفي كلمة يُمكن أن نقول إن تحليل أو دراسة الحلم المزعج يميل إلى مساندة نظرية "مكدوجل" التي تتلخص في أن الانفعال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالغريزة، ومن الأسباب الشائعة لعرقلة أو إعاقة النشاط الغريزي ظاهرة التناقض أو التعدد التي نعني بها أن الشيء له فوق معناه الصحيح معنى أخر يرتبط بأشياء أخرى، وهكذا نجد أن هذا الشيء يثير فوق رد الفعل المرتبط بمعناه الأصلي ردود أفعال أخرى ترتبط بما يحمله من معاني أخرى، والمعروف والقاعدة، أن ردود الأفعال هذه تتضارب بعضها مع بعض، ولكنها أحيانًا تجد حلا وسطًا واحدًا قادرًا على إشباع جميع المثيرات والمعاني، وهنا أصل الاختلاف بين الحلم المزعج والحلم العادي.

ويختلف الحلم المزعج عن الحلم العادي في أن الأول فشل في الوصول إلى حل وسط، كما يستخدم الحلم المزعج مواضيع وأشياء تؤلف موقفًا يشبع على مسرحه أحد الميول، بينما تعوق ميلا آخر وتقف سدًا حائلا في سبيل إشباعه، ويتطلب الانفعال من الحالم أو يضطره أن يستيقظ حتى يتخلص من شحنة هذا الانفعال.

أما الحلم الذي يستيقظ إثناءه أو بعده الحالم وهو منتعش سعيد فهو الحلم الذي يمكن بواسطته اكتشاف حل وسط مشبع لكل الميول الغريزية، ولو لم تكن هناك أية علاقة بينه وبين الحقائق الواقعية للحياة وإمكانياتها، ولكن يبدو أن معظم الأحلام لا تنتمي إلى أي من النوعين المتطرفين السابقين، إذ أن الحالم عادة ما يمر بتجربة غير سارة إلى حد ما عند تيقظه كما لو كان الحلم عائقًا بصورة معتدلة لميل ما بينما قد يكون مشبعًا إلى حد الكمال لميل آخر.

الفصل الرابع

الحلم المزعج والتربية

تهدف التربية في أساسها إلى تزويد المجتمع بالمواطنين الصالحين المعدين جسميًا وعقليًا ونفسيًا وروحيًا إعدادًا يؤهلهم لأن يحيوا في المجتمع حياة سعيدة نافعة مثمرة.

ومن هنا يجب علينا أن نوجه اهتمامًا خاصًا إلى الناحية النفسية عند تربية أطفالنا، اهتمامًا لا يقل بأية حال عن اهتمامنا بالنواحي الأخرى البدنية والعقلية والروحية، وهذه العناية ينبغي أن تبذل في المرحلة الأولى من الطفولة، ففي هذه المرحلة الأولى توضع الأسس التي تبنى عليها شخصية الفرد المستقلة، وهذا هو ما دفع علماء النفس والتربية لتأكيد أهمية السنوات الخمس الأولى في حياة الأطفال، وقد كان برنجل**Pringle** محقا عندما قدم كتابه عن الشباب **Youth** بقوله:

"يجب ألا ننسى ما كناه أولا".

ويمكن استخدام مادة الحلم المزعج الذي ينتاب الأطفال كوسيلة ناجعة في تربية نفوسهم حتى يخرجوا إلى المجتمع مواطنين صالحين، وفي استطاعتنا هنا أن نطبق هذه الفكرة لو رجعنا إلى حلم الطفلة الصغيرة المزعج الذي أقلقها فيه "الكلب الضخم".

ولقد أدى بنا تكرار وقوع هذا الحلم إلى التأكد من أن عقل الطفلة كان مشغولا بعدد من الرغبات التي لم تتمكن هي من تحقيقها، كما أمكننا أن ندرك أيضًا أن انشغال عقل الطفلة بهذه الرغبات قبل ظهور الحلم وتكراره كان مقلقًا لها ومشتتًا لانتباهها، ولتوضيح ذلك نضيف أنه ما من مرة عرضت على الطفلة أية مهمة أو كلفت القيام بأي عمل إلا وكان مصير هذه المهمة أو ذلك العمل عدم العناية أو انعدام الاهتمام، أو على الأكثر لم تكن أية مهمة لنشغل بالها أو تجذب انتباهها إلا جزئيًا وسطحيًا.

وفوق ذلك فلما كانت هذه الرغبات غير المشبعة التي لم تتحقق أثناء اليقظة تسبب الأحلام المزعجة وتؤدي إلى القيام المفاجئ من النوم مع ما يصحب هذا من انفعالات شديدة مثيرة، فإنه من الواضح أن الطفلة لا تستفيد من النوم بالقدر اللازم لسنها، ولما عرضت البنت على الأخصائي النفسي لاحظ أنها ذابلة عديمة الشهية قليلة النشاط، كما بدا ميلها الشديد للبقاء إلى جوار أمها دائمًا وكانت تبكي لأقل سبب أو مثير.

ولعلاج مثل هذه الحالة يختلف الناس باختلاف نظراتهم إلى أصل المشكل وسببه، ولذا يوجهون عنايتهم إلى أوجه مختلفة للحالة كلها.

فالبعض مثلا ممن يظنون أن سبب المشكل كله هو الذعر من الكلاب يرون أن تعود الطفلة بالتدريج على وجود الكلاب في صحبتها، ويعتقد هؤلاء في قرارة أنفسهم أنه بهذه الطريقة سيختفي أثر الأحلام المزعجة.

ويعتقد البعض الآخر من الناس أن الطريق الصحيح لمعالجة حالة الطفلة هو محاولة إثارة ميلها إلى عدد كبير من الأشياء.

أما أم الطفلة فكانت متأكدة أن بعض مشاكل ابنتها كانت على الأقل نتيجة العلاقات بين الطفلة وأخيها، ولذا كانت الأم تحاول من وقت إلى آخر دفع الابن دفعًا لكي لا يكون أنانيًا وليشرك شقيقته معه في لعبه.

ولكن يجب ألا يفوتنا هنا أن نذكر أن حب الأخ، كصفة الرحمة تمامًا، لا يمكن أن تفرض بالقوة أو بالضغط، ولذا نجد أنه عندما فشلت الأم في محاولاتها الوصول إلى الهدف الذي كانت ترمي إليه، لجأت إلى فكرة أخرى هي أنها أذنت لابنتها أن تملك جزءًا من الحظيرة الخشبية وتجعل منه مخزنًا أو مستودعًا خاصًا للعبها، وفي النهاية أخذت الأم تميل إلى إسناد سبب مشاكل ابنتها إلى "الفزع" كما أخذت تميل إلى الاعتقاد بأن طفلتها هذه ستتخلص من هذه المشاكل والصعوبات في الوقت المناسب مستقبلًا.

والطريقة التي ينصح بها عدد كبير من المدرسين هي محاولة إثارة اهتمام وميل الطفلة إلى أشياء كثيرة متعددة، ولهذه الطريقة درجتها من النجاح وإن لم تكن درجة عالية، ففي بعض الأحيان نجد أن الطفلة تصادف بعض المواقف التي تتصرف فيها بحرية وانطلاق وتشبع تلك الرغبات غير المشبعة حاليا، ولكن من الواضح الجلي أن الوالد أو المدرس الذي لا يلم بطبيعة هذه الميول غير المشبعة بالدقة، عن طريق

تحليل مماثل لما حاولناه من قبل أو بطريقة أخرى، أقول إن مثل هذا الوالد أو المدرس يعمل في الظلام وعلى غير هدى، وسيجد نفسه مضطرًا أن يسلك سبيل عملية "المحاولة والخطأ"، فيقدم مادته ومواضيعه الواحد تلو الآخر ثم يصدر حكمه طبقًا لما تبديه الطفلة من اهتمام أو ميل إلى هذه المهمة الجديدة أو تلك، ويعتمد نجاح الوالد أو الوالدة أو المربي على مدى حاجة الطفلة إلى المادة التي يقدمها.

وأساس أحد عناصر مشكلة الطفلة الظروف المنزلية: مثل معارضة الشقيق بطرق شتى لوجود أخته ومعيشتها معه، وفي مناسبات متعددة أبدى الشقيق أسفه لأنه يعيش في قرية هامبشير، مرددًا أنه كان يود أن يعود إلى بورتسموث، وقد أحاطت الأم المحلل النفسي علمًا بهذا، وكانت تميل إلى الاعتقاد أن حياة المدينة الصاخبة كانت أكثر جاذبية وأشد إثارة من حياة القرية النائمة الهادئة، ولكن المحلل النفسي لم يقتنع بهذا التعليل.

لأن الطفل الريفي العادي يمكنه أن يجد الكثير مما يدخل على قلبه السرور ويشغل وقته بالتسلية في أزقة القرية وحقولها.

ولما كان هم المحلل النفسي أن يعرف حقيقة الموقف فقد انتهز فرصة انشغال الولد بقطره وانهماكه في اللعب وعدم انتباهه وتركيزه وسأله على حين غرة هذا السؤال المباشر:

"لماذا كانت بورتسموث في نظرك ألطف من هذا المكان؟"

فاستدار الطفل تاركًا لعبه وأجاب بشغف وجد:

"عندما كنا في بورتسموث كانت أمي معتادة أن تأخذني معها في فراشها كل صباح، وتقص علي قصة طويلة".

"ولكنها تفعل ذلك هنا أيضًا، أليس كذلك؟"

"لا، إنها لا تفعل ذلك بتاتًا هنا".

"وأين كان أبوك في ذلك الوقت؟"

"كان بعيدًا عن المدينة".

(فإن وظيفة الأب تيتدعي تغيبه عن المنزل لبضعة أسابيع أحيانا)

"وأين كانت نيللي؟"

(ونيللي هي شقيقته، صاحبة الأحلام المزعجة).

"لم تكن قد ولدت بعد".

وهكذا وضح معنى بورتسموث خلال المناقشة التي دارت بين الطبيب النفسي المعالج وبين شقيق الطفلة، فلم تكن بورتسموث تعني عنده المناظر التي يراها في الشوارع أو الجلبة والضوضاء التي تتميز بها المدينة الكبيرة، وإنما كانت بورتسموث المكان الذي كانت الأم فيه ملكًا خاصًا للولد وحده- أما قرية هامبشير فهي المكان الذي لا ينال من أمه فيه إلا نصيبًا ضئيلًا، المكان الذي تعطي فيه الامتيازات التي كان يتمتع بها لشخص آخر.

وقد أكدت الأم صحة كل كلمة فاه بها الطفل.

كما حاول الطبيب النفسي أن يكتشف إلى أي حد كانت "الأنانية"، العادية سببًا لرفض الطفل السماح لأخته أن تلعب بقطره، فعندما حاول المعالج أن يلعب معه لم يبد الولد أي ممانعة، بل على النقيض من ذلك صمم على اشتراكه في اللعب معه، ويتضح من هذا ومن قوله السابق "إن للأولاد فقط أن يلعبوا بالقطر"، سبب سلوكه تجاه أخته ومنعها من اللعب بقطره.

ولقد تبين أيضًا أن هذا الطفل يتردد على إحدى مدراس الأحد الصغيرة في القرية، وبالنسبة إلى صغر سنه فإنه يحضر الدروس والتعاليم في فصل مختلط خاص بالأطفال، بنين وبنات، وهو يشكو من أن بالفصل بنات، ومن رأيه أنه لا يجب الجمع بين الأولاد والبنات في فصل واحد، وقد أثار بعض الصعوبات والمشاكل لرغبته في الامتناع عن حضور مدارس الأحد هذه، ولكنه في نفس الوقت يتحدث بإشراقة واضحة عن أهله في المستقبل القريب بالانتقال إلى فصل الأولاد، وقد انتقلت معارضته لأخته إلى البنات الأخريات ممن في سنها.

وهكذا، فطالما بقي الولد والبنت (الأخ والأخت) سويًا نشأت الصعوبات المبنية على العلاقات القائمة بينهما، هذه العلاقات التي تعتمد بدورها على علاقة كل منهما بأمه سواء في الحاضر أو الماضي، ويزداد الموقف تعقيدًا إذا ما بحثنا علاقة البنت (الأخت) بالطفل الرضيع.

فهذه العلاقة الجديدة تشبه إلى حد كبير علاقة الولد بأخته صاحبة الأحلام المزعجة.

والعلاج التربوي المقترح لإزالة قدر كبير من هذه الصعوبات هو إرسال هذه البنت إلى مدرسة يتوفر فيها فصل من البنات في أعمار متقاربة من عمرها، وتشرف على هذا الفصل سيدة في مقدورها خلق علاقة أموية مع البنت بسرعة كما تعامل هذه المدرسة في الوقت ذاته جميع التلميذات بحنو وشفقة بدرجة متساوية، وبهذه الطريقة تسترد الطفلة شخصياتها الأصيلة وتعود إلى الموقف الذي ترغب فيه، فهي لا تفضل على أحد ثم تمهل بسبب تفضيل أحد عليها بعد ذلك، كما حدث في المنزل.

والاختلاف بين ردود الأفعال الخاصة بالأخ وتلك الخاصة بأخته في موقف معين أو بسبب مثير خاص، اختلاف بين، ويستخدم هذا الفرق في إظهار نوعين متعارضين من السلوك يعرفهما المربون معرفة تامة، فيوجه الولد ردود أفعاله إلى الشخص الذي انتزع اهتمام أمه الظاهر به، وما هذا الشخص إلا أخته، فسلوكه تجاهها كله قسوة وخشونة وأنانية، أما الأخت، وقد شغل الرضيع مكانها، فتوجه انتباهها إلى الأم وتكتشف أنها ممكن أن تستعيد هذا الاهتمام الأموي عن طريق الدموع أو عن طريق الشكوى من خشونة الأخ أو الظهور بمظهر الفزع والخوف (كما كان الحال بعد حادثة الكلب).

وهـذان النوعـان مـن ردود الأفعـال ناجحـان إلـى حـد مـا فـي جـذب انتباه الأم، هذا الانتباه الذي يتخذ في الحالة الأولى مظهر الغضب، وفي الحالـة الثانيـة مظهـر "الشـفقة" ويعتبـر الطفـل الأول ولـدًا مثيـرًا للشـغب والشجار بينما تعتبر الطفلة بنتًا طيبة خيرة.

ولقـد درس أدلـر **Adler** هـذين النـوعين مـن ردود الأفعـال وأطلـق عليهمـا اسـم "الاحتجـاج المـذكر"، و"الاحتجـاج المؤنـث"، ولكـن هـذه التسمية غير مناسبة إذ أن الأولاد والبنات معًا يمكن أن يستخدموا هذين النـوعين مـن غيـر تفرقـة، وكـل نـوع مـن الأطفـال سـواء بنـين أو بنـات يضـم عددًا من الأطفال المتطرفين الذين يطالبون مدرسيهم بنصيب من العناية أكبـر مـن النصـيب العـادي العـادل الحـق عـن طريـق إثـارتهم للشـغب (شقاوتهم) أو طيبتهم الزائدة عن الحد، ولكن معاملة مثل هذه الأنـواع مـن السـلوك بطريقـة عامـة مـن غيـر عنايـة فرديـة لا تـؤدي إلا إلـى الفشـل المؤكد وعن طريق هذه المعاملة الجماعية فإن أقصى ما يمكن أن يحصـل المدرسـون عليـه مـن نتـائج هـو ألا يـأتي الأطفـال أعمـالا فيهـا خـروج عـن السـلوك العـادي أو مصـبغة بصـبغة غيـر عاديـة أو شـاذة وهـم فـي حجـرة الدراسة.

وهـذه النتيجـة تسـر المـدرس وتلائـم الفصـل ولكـن لـيس لهـا قيمـة علاجيـة البتـة، فالطفـل لـم يشـف ممـا بـه، كمـا لـم تتحسـن حالـه علـى أي وجـه، بـل علـى النقـيض مـن ذلـك فـإن حالتـه قـد تـزداد سوءًا مـا دمنـا قـد حرمناه حتى من التعبير الجزئي عن رغباته المشبعة.

ولا يتضمن كل ما ذكرنا أن محاولة تفسير الأحلام المزعجة سوف يحل مباشرة جميع المشاكل التي تنشأ في الفصل أثناء الدراسة، ولكن هذا التفسير يؤكد أن الحياة العادية التي يضطر الطفل أن يحيياها غالبا ما تفشل في إشباع عدد من ميوله، ثم تشبع هذا الميول أو تهدأ بطرق ليست فحسب عديمة النفع ظاهريا ولكنها في الحقيقة ضارة بالطفل ومعرقلة لجهود المدرس.

وما استخدام هذه الميول عن طريق تهيئة الفرص المناسبة للنشاط الفعال القيم إلا عملية التربية ومهمتها، وبدونها تعتبر تربية الطفل ناقصة عديمة القيمة، وإذا لم نهيئ الفرص للنشاط الفعال المفيد فإننا بذلك نخلق فرصًا أخرى للنشاط الهدام الضار أو عديم الفائدة على الأقل، ولا يمكن أن نعرف طبيعة هذه الفرص والطرق التي يمكن أن نشجع بها الطفل ليفيد من هذه الفرص ومدى حاجته إليها إلا إذا عرفنا طبيعة المشكلة التي يشكو منها الطفل، ولمعرفة طبيعة المشكلة فإننا نعتمد اعتمادًا كليًا على دراسة مستفيضة لعقلية الطفل موضوع البحث، وتلعب الأحلام المزعجة دورًا هامًا بل وتساهم بنصيب كبير في هذه الدارسة.

الفصل الخامس

الحلم بالإعدام

الحلم بالإعدام نوع من الأحلام الشائعة التي تتخذ أحيانًا شكل الأحلام المزعجة التي يقوم فيها الحالم فجأة مفزوعا من نومه، أو تتخذ أحيانا أخرى شكل أحلام القلق المعتدلة النوع، وفي حلم الإعدام يرى الحالم نفسه قاب قوسين أو أدنى من المشنقة أو الكرسي الكهربي أو المقصلة.

وقد ذكرنا عند بحث الأحلام المزعجة أنها لا تشذ عن القاعدة التي وضعها فرويد لتفسير الأحلام ألا وهي: (أن الأحلام تحقيق رغبات)، كما أثبتنا بالدليل القاطع أن هذه الأحلام المزعجة لا تخرج عن كونها محاولات لخلق موقف تشبع فيه الرغبات، ولكن هذه المحاولات لا تلبث أن تقاطع في منتصف الطريق أو قبل نهايته فيكون الإزعاج والفزع.

وليس من السهل طبعا أن نتبين كيف يمثل الحلم الذي يعاني فيه الحالم من تنفيذ الإعدام تحقيق الرغبة، فمن ذا الذي يطلب إعداما أو يرغب في تحقيق إعدام نفسه وإزهاق روحه؟

ويجب ألا يغرب عن بالنا هنا أن فرويد وأتباعه لم يذكروا أو يسجلوا بتاتا أن الحلم تعبير واضح لرغبة ما أو لتحقيق هذه الرغبة.

إلا في حالات وأمثلة قليلة العدد، ولا تتضح نظرية فرويد (أن الحلام تحقيق رغبات أو تمثل تحقيق رغبات) إلا بعد تحليل الحلم بطرق خاصة معينة وعندئذ فقط تصبح الرغبة الكامنة التي يتضمنها الحلم ظاهرة جلية.

وما الذي تعنيه كلمة الإعدام لشخص عادي يعيش اليوم في قطر أوروبي أو إفريقي أو أمريكي أو آسيوي؟

إن هذه الكلمة تتضمن لأول وهلة فكرة ارتكاب الجريمة، ثم تحقيق كامل دقيق في الظروف التي أحاطت بالجريمة، ثم جمع الأدلة الخاصة بهذه الجريمة، ثم أخيرًا إثبات التهمة على شخص معين بالذات، ومن المعلوم جيدًا أن هذه الخطوات تتم بعناية فائقة ودقة متناهية لدرجة أنه في الظروف العادية يندر إلى أقصى حد أن يعدم شخص برئ.

وينبني على ما تقدم أنه إذا حلم شخص بأنه أعدم أو أنه في طريقه إلى الإعدام فإن ذلك يتضمن أن هذا الشخص قد ارتكب جريمة ما كما يتضمن أيضا وضوح هذا الجرم وثبوته عليه.

ونعرف جيدًا أيضا أن الجرائم التي يحكم بالإعدام بسببها قليلة العدد، ففي بلاد مثل بلادنا نجد أن القتل العمد مثلا هو نوع الجرائم التي يحكم بالإعدام من أجلها، فالتفسير المباشر لحكم الإعدام في

وقتنا الحاضر وظروفنا التي نعيش فيها هو أن الشخص الذي يحلم بالإعدام، يحلم بالطبع، وكأنه قد ارتكب جريمة قتل نفس بشرية عامدًا متعمدًا.

ونؤكد هنا مسألة (في وقتنا الحاضر)، إذ أن حلم الإعدام قد يشير أحيانًا إلى عصر من العصور كان يعدم فيها الإنسان لأسباب أخرى غير جريمة القتل، ومثل ذلك ما حدث لصديق حلم: "أنه كان مقودًا إلى المقصلة **guillotine**، وأن الإعدام كان سينفذ في ساحة عامة واسعة وكان جميع أعضاء الكلية التي ينتمي إلى هيئة أعضاء التدريس فيها حاضرين فيما عدا أستاذ قسمه الخاص، وقد طلب هذا الصديق مقعدًا يوضع في المقدمة الأمامية حتى يشغله أستاذه لكي يتمكن من متابعة الأحداث وخطوات تنفيذ الإعدام."

وأول ما تذكرنا به المقصلة هي الثورة الفرنسية عندما كان الدهماء والغوغاء يعدمون الرجال ويقودونهم إلى المقصلة لا لسبب إلا انتمائهم إلى طبقة الارستقراط، وعلى ذلك يتضمن الحلم أن الرجل الذي ينفذ فيه حكم الإعدام إن هو إلا رجل أرستقراطي، كما أن الجماعة الذين يقودونه إلى المقصلة إن هم إلا أفراد الدهماء من عامة الشعب، أما "قلقه ورغبته في أن يحتل أستاذه مقعدًا أماميًا" فلم تكن تعبيرًا أو مظهرًا لحبه للآخرين حتى أنه لم يكن يرغب أن تفوت الأستاذ تفاصيل هذا المنظر السار والعرض الشيق، وإنما التفسير الصحيح هو أنه كان يرغب أن يرى الأستاذ المنظر بوضوح ليميز ويفرق بين الشخص الأرستقراطي والغوغاء

الذين يحيطون به، ولما وصل الحالم إلى هذه النقطة في تحليل حلمه، قال: "ولكن ذلك فظاعة وأنانية"، واسترسل يعترف أن هذا العنصر له دخل فعلا في مشاعره وعلاقاته تجاه زملائه وأستاذه، ومن السهل والواضح في هذه المرحلة لمن له خبرة في تحليل الأحلام أن يرى أنه من الممكن أن نتعمق عن طريق الأسئلة إلى طبقة أبعد من هذه وأن نكتشف رغبات قديمة ترقد في طبقات عميقة عند الحالم، ولكن لم يكن هذا ممكنا عندئذ، ولا تفيدنا هنا في هذا المقام كثيرًا.

ويمكننا على ضوء هذا التحليل السطحي أن نقول إن أي حلم إعدام إن هو إلا طريقة مسرحية تمثل حالة يكون فيها الفرق بين الحالم والعالم الذي يعيش فيه كبيرًا لدرجة أن واحدًا منهما (إما الحالم أو العالم) يجب أن يتخلص من الآخر، وطبقا لذلك فقد يحلم الإنسان أن طوفانا قد أتى على البشرية جمعاء ولم يترك على ظهر البسيطة حيا يرزق غير الحالم وحده[١]، أو قد تؤديان إلى معنى واحد وهو تخلص الحالم من العالم أو تخلص العالم من الحالم.

ومن مميزات حلم الإعدام المتكررة الحدوث أن الحالم لا يمكن أن يتبين في أي جزء من الحلم الجريمة التي من أجلها ينفذ فيه حكم الإعدام.

---

[١] M: P: Shiel in "The Purple Cloud".

فمثلًا في حلم المقصلة الذي أشرنا إليه لم يتضح للحالم في أي مرحلة من مراحل الحلم أن واحدًا من الجموع التي كانت تحيط به قد اتهمه بأنه يعتبر نفسه أحسن منهم أو أرقى طبقة، وفي الحقيقة كان الحالم رجلا متواضعًا بصورة فريدة، وكما يتضح من تعليقه السابق فإن تحقيق فكرته، باعتبار نفسه أعلى مرتبة وأكثر امتيازًا عن الرجال والنساء الذين يعيشون في محيطه، أمر غير مستساغ عنده، أما عدم ذكر الذنب الحقيقي الفعلي في الحلم فإنه مثل واضح الشكل غير عادي لعمل الكبت وتأثيره.

وبين الحلم المزعج وحلم الإعدام أوجه للشبه وأوجه للاختلاف فيشترك النوعان في أنهما تعبير عن تحقيق الرغبات ولو أن هذا التحقيق، كما يبدو سطحيا، بعيد كل البعد عما يمكن أن يسمى أو يعرف بتحقيق الرغبة على أية صورة.

ولكن هناك فروق هامة بين الحلم المزعج وحلم الإعدام، فلنفترض أن البنت الصغيرة في حلم "الكلب الضخم" لم تخف من الكلب وأنها مرت بجواره ودخلت الحظيرة ثم قضت وقتا طيبا بين لعبها هناك وأخيرا "اكتشفت أمها أمرها فضربتها ضربا شديدًا". ولنفرض أنه بعد ذلك كانت تستيقظ الطفلة من نومها وهي تحلم أن أمها تضربها ذلك الضرب المبرح، من غير أن تتذكر سببًا لهذا العقاب، فإن حلما من هذا النوع لا يمكن أن نطلق عليه حلمًا مزعجًا: وإنما هو حلم مشابه لحلم الإعدام ومن فصيلته.

وفي الحلم المزعج نجد دليلا ضعيفًا أو لا دليلا البتة على أعمال الكبت، فيتكون في الحلم موقف هو بداية الطريق إلى تحقيق الرغبة بشكل مبسط مباشر ثم يسبب التفكير العميق في هذا الموقف ودراسته انفعالا شديدًا حادًا يجعل استمرار النوم مستحيلا، فيفشل الحلم في ناحيتين: فلا يصل إلى تحقيق الرغبة، كما أنه لا يقوم بوظيفة "حارس النوم أو "الوصي على النوم".

أما في حالة الإعدام الذي تحدثنا عنه فإن الحلم ينتقل إلى مرحلة أخرى، فلا يمثل ظاهريا الموقف الذي يعرقل تحقيق الرغبة أو يسبب الانفعال الحاد الذي يؤدي إلى اليقظة من النوم، ولا يمثل كذلك التحقيق الفعلي للرغبة التي قد تكون من نوع مزعج فظيع إلى درجة أن الحالم يقوم من نومه قبل أن يكتمل الحلم تماما، فما هو العامل الفعال هنا؟ أهو الكبت؟ أم فقد الذاكرة؟ ألم يحلم النائم بهذا الجزء من الحلم؟ أم أنه نسيه عند يقظته؟ وإذا كانت الرغبة من هذا النوع الذي لا يتلاءم ونظرة الحالم على أية صورة، فلماذا لا تتقنع هذه الرغبة في أي قناع يمنعها من الظهور على حقيقتها؟

ويظهر أثر الكبت وعمله في بعض أحلام الإعدام بشكل غير واضح تمامًا، ففي هذا النوع يحلم النائم بالمحاكمة التي تسبق تنفيذ الإعدام، ويواجه القضاة والنيابة والشهود، ولكن الاتهام الموجه حينئذ يكون إما مضحكا أو سخيفا غير مفهوم، وهذه الصفة من السخف أو نقص المعنى هي التي تثبت أن الكبت يقوم بدوره ويعمل عمله أيضا في هذا النوع،

فإن تحقق الحالم من أن التهمة الموجهة إليه إما مضحكة أو سخيفة تدل كذلك على أن الحلم قد فشل في تكييف مادته لتحقيق الرغبة الأصلية، وعندئذ يظهر الكبت بوضوح في الأجزاء والمراحل التي تتكون بعد ذلك في الحلم على صورة حذف تام لهذه الأجزاء أو بعضها.

وإذا كان الكبت يؤدي إلى هذه النتائج فهذا دليل كاف على أن طبيعة الرغبة المطلوب تحقيقها أولية وغير اجتماعية، كما كان الحال في حلم الإعدام الخاص بالثورة الفرنسية عندما تجمع إخوان الحالم في صعيد واحد ضده ليبعدوه من بينهم ويتخلصوا منه بإعدامه.

الفصل السادس

الحلم مفتاح علاج الحالات المرضية

يستخدم المحللون والأطباء النفسيون الأحلام التي يذكرها مرضاهم مفتاحا لعلاج الحالات النفسية المعقدة والأمراض العصبية، وعن طريق تحليل هذه الأحلام يمكن الطبيب المعالج أن يصل إلى العقدة المترسبة في اللاشعور والتي تسبب الحالة النفسية التي يشكو منها المريض، وبعد عدة جلسات نفسية يسترخي فيها المريض ويسترسل في تداعيه الطليق إما تحت تأثير إيحاء الطبيب المعالج أو مخدر معتدل أو صدمة كهربائية، يعود المريض النفسي إلى حالته الطبيعية بعد أن يكون الحلم قد لعب دورًا أساسيًا في هذا العلاج في نسبة كبيرة من الحالات المرضية.

وقد بدأ في استخدام الحلم وعناصره في علاج مرضاه "سيجموند فرويد" أبو التحليل النفسي، ثم تبعه تلاميذه الكثيرون وأتباع مدرسته.

وأصبح العلاج النفسي الآن ضرورة تقتضيها الحياة المعقدة التي نعيشها، وانتشر الطب النفسي في معظم بلاد أوروبا وأمريكا وأنشئت العيادات النفسية المجانية لمن لا تمكنه ظروفه المالية أن يعالج عند طبيب نفسي خاص، كما ألحقت وحدات نفسية (عيادات نفسية) (Psychological Clinics) بالمدارس أيضًا، ويعمل

بكل وحدة أو عيادة:

ا- محلل نفسي أو عالم نفسي ب- طبيب جـ- وأخصائي اجتماعي.

وهاك بعض الحالات المرضية[1] التي استخدم فيها الأطباء النفسيون الأحلام مفتاحا ووسيلة وسبيلا للعلاج:-

(١)

كانت المريضة سيدة جميلة في الثامنة والثلاثين، وكانت تشكو كآبة وحزنًا عميقين وخوفا يعكر سلام نفسها ويحرمها الشعور بالاطمئنان، وبالرغم من حبها العميق لزوجها فقد كانت تعاني برودًا جنسيًا جعل حياتها عديمة القيمة، كما سيطر على حياتها النفسية شعورًا عميقًا بالنقص.

كان والدها رجعيًا قاسيًا متزمتًا فيما يتعلق باختلاط البنات بالصبيان فكان يعاقبها كلما علم أنها شوهدت في صحبة الصبيان أو كان لها أي شأن بهم، وكانت السادسة من سبعة أولاد، يكبرها خمسة أخوة وتصغرها أخت كانت تحبها كثيرًا وتداعبها دائمًا، كما كانت تقضي معظم وقتها في العناية بها، ولو أنها لم تهمل إخوتها فكانت تقوم باحتياجاتهم، كانت تحبهم جميعا ما عدا أكبرهم سنا فقد نشأت على كراهيته إذ كان السيف المسلط الذي تهددها به أمها كلما ارتكبت خطأ ما.

---

[1] Some Case Records of an Egyption Psychoanalyst Vol.1. By: Dr. Mohamed HosnyWelayah.

وفي الخامسة أجبرها خادم الأسرة على الانغماس في مداعبات جنسية معه، ولم تخبر أمها أو أباها بسبب تهديدات الخادم المخيفة لها، وبعد عدة سنوات أقدمت على مداعبات جنسية من نفس النوع مع أحد إخوتها، ولم تقاومه بل على العكس قامت بتشجيعه.

وفي العاشرة نضجت المريضة جنسيا ثم سرعان ما أصيبت بحمى التيفوس، وبعد شفائها بقيت معتلة وبدأ شعرها في السقوط.

ولما بلغت الحادية عشرة أصبحت تغرم بالصبيان وتشعر برغبة في صحبتهم ولكنها منعت من أن يكون لها بهم أي شأن بسبب سيطرة أمها الشديدة وقسوة والدها.

وفي الثانية عشرة تيقظت غريزتها الجنسية تماما ووقعت في حب ابن الجيران الذي كان يصحبها من حين لآخر إلى الحدائق العامة حيث كانا يقبلان ويعانقان بعضهما البعض ولكن بدون مداعبات جنسية، ثم بدأت في سن الخامسة عشر تخرج كثيرًا مع الشبان بالرغم من رقابة العائلة.

وفي يوم ما سمعها أخوها تسأل أختها عما إذا كان صديقها يطل من نافذة منزله عبر الشارع، وفي الحال أخبر والده الذي هاج وماج وأغلق النوافذ المقابلة لمنزل صديقها بالمسامير، وفي السابعة عشر أحدث سوء تفاهم بين الأشقاء ووالدهم انشقاقا في العائلة انفصل على أثره الأخوة في معيشة خاصة بهم، ومنعها والدها من زيارة أخوتها ولكنها كانت تزورهم كلما سنحت الفرصة.

ثـم تزوجـت المريضـة فـي الحادية والعشـرين ولكـن سـعادتها كانـت قصيرة الأمد، وكانت تعجب بزوجها وتخدمه ولكنها لم تستطع التغلب على برودها الجنسي معه، وبعد ثلاثة أشهر من زواجها فشل زوجها في أعمالـه فشـاركته مشـاركة تامـة فـي مصـيبته، ولكنهـا سـرعان مـا تعرضـت لسلسـلة مـن الكآبـة تطـورت إلـى شـعور باليـأس، وبـدأ شـعرها يتحـول إلـى الأبيض وأخذت تنتابها أحلام ترى فيها شعرها وقد أصبح رماديا تماما وأسنانها الأمامية وقد سقطت.

وفي الخامسة والعشرين جاءهما قريب لزوجها وهو طالب شاب قد تخطى العشرين بقليل ليعيش معهما لبضعة أيام، وفي إحدى الليالي، وقد كان زوجها متغيبا في عمله وهي بمفردها في المنزل مع الطالب، حلمت أنها رأته يرش وجهها بمسحوق أبيض خدرها، به وبينما هي في ذهولها رأت خادم الجيران يقترب منها ويجردها من ملابسها وفي اللحظة التي هم فيها أن يغتصبها استيقظت وهي تصرخ من الفزع، وقد حدث قبل ذلك الحلم بيوم أو يومين أن تأثرت تأثرًا عميقًا بجريمة قتل أحد التجار الأغنياء بالقاهرة، فقد اقتحم اللصوص منزل التاجر وخدروه قبل الفتك به.

ومنـذ عـام طلقـت أحـدى بنـات عمومتهـا مـن زوجهـا وكـان السـبب الذي سيق في حيثيات الحكم هو عقم الزوجة، ثم تزوجت تلك القريبة من أحد إخوة المريضة وأنجبت طفلا، وحوالي هذا الوقت بدأت تنتاب المريضـة سلسـلة مـن الأحـلام التي كانـت تـرى نفسـها فـي كـل منهـا وقـد

طلقت من زوجها لأنها لم تنجب أطفالا، وفي أحلام أخرى كانت ترى نفسها وقد تزوجت رجلا آخر وفي بعض الأحيان كانت ترى نفسها حاملا، ولما اكتشفت أن زوجها كان يخونها، زاد حنينها إلى إنجاب الأطفال ليس لتشبع غريزتها فحسب ولكن لتسترجع حب زوجها المتلاشي.

وتكشف المريضة في الحلم الذي رأته في ليلة غياب زوجها لما كانت بمفردها مع الفتى، مكنونات عقلها الواعي والباطن بما فيها الدليل على مخاوفها وعواطفها المكبوتة، والحلم في الحقيقة يشير إلى خوفها من قريب زوجها الذي كانت تخشى أن ينتهز فرصة غياب زوجها ليحاول أن يتصل بها جنسيا، على الرغم من أن كل ما فعله في الحلم هو تخديرها برش وجهها بالمسحوق، أما الخادم الذي حاول أن يعتدي على عفافها في الحلم فقد وصفته بأنه من الإخلاص والطيبة لدرجة يصعب معها إطلاقا أن تتصوره يقوم بمثل هذا العمل في الحياة الحقيقية، فضلا عن أنه لم يكن ينام في نفس الشقة، وعلى ذلك فلم يكن يستطيع الوصول إلى حجرة نومها، ولكن المريضة كانت تعلم أن الخادم يتعاطى مخدرًا هو الكوكايين.

والخادم الذي رأته في الحلم يمثل الخادم الأول الذي اعتدى عليها وهي في الخامسة، وبطريق المبادلة رأت في الطالب، الخادم مدمن المخدرات يرش وجهها بالمسحوق المخدر، وعلى ذلك فإن خوفها من الاعتداء تحول من الطالب إلى الخادم البريء كما تحولت

حالة التخدير من التاجر المقتول إلى نفسها وكانت في حالتها مصحوبة بالاتصال الجنسي كما كان المسحوق الأبيض المستعمل لتخديرها في الحلم مرتبطا بكلا المسحوقين: الكوكايين الذي يتعاطاه الخادم والمادة التي استعملها القتلة لتخدير التاجر قبل قتله، وفي الجزء الظاهر من الحلم نجد أن خادم الجيران والطالب استبدلا دوريهما، بينما في الجزء الباطن من الحلم فإن الطالب مثل دور الخادم الذي مثل بدوره زميله الخادم الأول المذنب.

وهكذا أظهر الحلم خوف المريضة الجنسي من قريب زوجها الذي ربما استغل انفراده معها في المنزل وحاول اغتصابها كما فعل الخادم القديم تماما عندما كانت في الخامسة، فيقوم بفعلته بعد تخديرها بنفس الطريقة التي اتبعها اللصوص مع التاجر الغني.

والاتصال الجنسي بالخادم الأول أثر تأثيرًا عميقًا على كيانها النفسي فقد كانت تشعر بالانحطاط والدنس الذي سببه لها الخادم الخائن الوضيع، وإلى جانب هذا الشعور بالمهانة فقد أثر هذا العمل في حياتها الجنسية التي بدأت بالخوف والاشمئزاز، فقد كان خضوعها للخادم يرجع إلى خوفها من تهديداته المستمرة وإلى إرادتها الضعيفة.

وقد تحطمت شخصية المريضة بسبب تجربتها الجنسية الأولى مع الخادم وبسبب قسوة والديها، وحتى بعد موت والدها استمر خضوعها التام لأختها الأكبر منها، ومما زاد تعقيد حياتها الجنسية التأثير القوي لاتصالاتها الجنسية مع أحج أخوتها عندما كانت في التاسعة بالرغم من

أنها كانت تجد لذة في هذا العمل، وكانت في تلك الفترة في حب جنسي مع أخيها.

ويرجع برود المريضة الجنسي مع زوجها إلى تجاربها الجنسية السابقة، فعندما كانت تتصل جنسيا بزوجها كان يكتنفها شعور بالقلق يرجع إلى اتصالها الجنسي بالخادم وهي طفلة وأيضا إلى حبها الآثم لأحد أخوتها، وقد تطور الحب الأخير ليس فقط إلى شعور عميق بالإثم ولكن إلى حد ما إلى تعلق بأخيها كان يصرفها عن زوجها، فضلا عن أن تأثير أبيها وأخيها القاسيين كان لا يزال يسيطر على عقلها الباطن مما جعل الاتصال الجنسي بزوجها ضربًا من الصعوبة والبرود.

وهناك حالة أخرى:

(٢)

كان المريض وهو في بدء الحلقة الوسطى من عمره يشكو من العنة الجنسية والأرق، وكان أرقه نتيجة لوهم يتملكه ليلا ونهارًا ويجعله غير مندمج في شئون الحياة اليومية، وكانت تتملكه أحلام يرى فيها نفسه حاكما قويًا غنيًا له السلطان على ملايين من الناس يعيشون في فقر مدقع وجهل كما تطحنهم الأمراض.

وكان المريض ينحدر من عائلة فقيرة، وكانت والدته رحيمة وذات قلب عطوف وقد قاست كثيرًا في الحياة إذ أن والده بالرغم من أنه كان رجلا متدينًا فقد كانت له عدة عادات شاذة مما جعل الحياة في المنول

صعبة للجميع، ومن نواحيه الشاذة إحساسه غير العادي بالنظافة، فكان قبل أن يأخذ حمامه اليومي يقف بباب الحمام ويجعل زوجته تنظفه تمامًا، فتبدأ أولا بغسل ذراعيها وقدمها عدة مرات بالماء الساخن والصابون ثم تلمع الأرض والحوائط ثم بعد ذلك تستعد لتنظيفه (تلييفه) بالصابون، وكان يضطرها في بعض الأحيان أن تقوم بذلك عدة مرات تحت إشرافه الدقيق وملاحظاته القاسية لطريقة التنظيف التي تقوم بها.

وكان المريض وهو طفل ضعيفًا رقيقًا، وكان يبكي كثيرا فكانت أنه تخيفه بما ستفعل الجن به إذا لم يكف عن البكاء، وكان فقر العائلة المدقع يسبب للمريض شعورًا بالنقص أمام أولاد الأغنياء الذين يلبسون أحسن منه فكان يشعر بالحسرة لفقره ويعطف على الأولاد الفقراء مثله، وكان بطبيعته ذا حس مرهف يحب الوحدة ويتذوق الموسيقى.

وفي السابعة بدأ يشمئز ولا يستطيع تذوق أي طعام طبخ بالزيت، فكان يتقيأ من مثل هذه الأطعمة إذا أجبر على تناولها، ومثل كل الأطفال كان يكره زيت الخروع، فكانت الأطعمة المطبوخة بالزيت تتخذ عنده طعم زيت الخروع، ولما كانت معظم الأطعمة تطبخ بالزيت عندهم، فإن هذا الأمر أصبح مشكلة خطيرة، إذ أن الصبي لم يستطيع أكل أي أطعمة مطبوخة وبدأ يعاني نتائج سوء التغذية، وفي محاولة يائسة للتغلب على هذه المشكلة أخذته والدته إلى مشعوذ فحصه وقرر أن حالة الاشمئزاز ترجع إلى جنية سكنت جسده – ثم قام المشعوذ بإخراج الجنية من خلال عينيه، كما أكد لهم، وبعد ذلك اختفى اشمئزاز المريض من الطعام

المطبوخ بالزيت فبدأ يأكل جيدًا وتحسنت صحته.

وفي العاشرة أجرى المريض عملية في أحدى عينيه تركت علامة دائمة في إنسان العين، وقد ربط هذه العلامة بما فعله المشعوذ الذي أخرج الشيطان من جسده خلال عينيه وهكذا أصبحت هذه العلامة تذكره دائما بالأرواح الشريرة، وفي هذه السن بدأ أيضا يقرأ الكتب عن الشياطين والجن، وكان متأثرا بالذات بفصل في أحد الكتب قرأ فيه عن حالات لرجال كانت لهم صلات جنسية مع الجنيات، كما قرأ إن مثل هذه العلاقات كانت تعطي أصحابها الحظ الحسن والنجاح والثروة طالما كانوا على علاقات طيبة مع عشيقاتهم الجنيات ولم يغضبوهن.

وعند بلوغه سن الحادية عشر بدأ يمارس العادة السرية، وكانت له مداعبات جنسية مع البنات، وبعض هذه المداعبات حدثت في جرن قديم مهجور يقال إنه كان مسكونًا بإحدى الجنيات.

ويتذكر المريض حلما أنتابه في هذه السن رأى فيه نفسه جالسا في حجرة في منزل غريب، ثم دخل رجل وقاده إلى حجرة أخرى، وهناك رأى جنية صغيرة وجميلة ترقد عارية على أريكة بين اليقظة والنوم، ثم نادته وسألته بإغراء إذا كانت تعجبه، فلما قال "نعم" جذبته إليها واستمتعا بالاتصال الجنسي، وبالرغم من أنه كان طالبا ذكيا ومثابرا أو فوق المستوى في فصله فقد كان مكروها من بعض أساتذته، وفي الرابعة عشر تعمد أحد مدرسيه رسوبه في امتحان النقل، وقد ثار والداه وأنباه لعدة أسابيع ظنا منهما أن رسوبه كان نتيجة كسله وأفهماه أنهما لا

يستطيعان دفع المصاريف لسنة أخرى بالمدرسة، وقد سخرا من تفسيراته لأسباب رسوبه وثارت ثورتهما، ولقد أثر هذا التأنيب المستمر على أعصابه وبدأت تنتابه نوبات هستيرية تستمر لعدة ساعات كلما تناول والداه موضوع رسوبه، وكانت تبدأ النوبات بسقوطه على الأرض في إغماءه ومد ذراعيه وجسمه متخذًا شكل الصليب، وأثناء النوبات كان يردد دروسه بدقة وطلاقه، في هذه النوبات كان عقل المريض الباطن يكشف عما يكتبه: فاتخاذ جسمه شكل الصليب كان يرمز إلى اضطهاد مدرسيه له، وترديده الصحيح لدروسه يقصد به إثبات أنه يعرف دروسه جيدًا بالرغم من رسوبه في الامتحان.

وفي التاسعة عشرة بدأ يتردد بانتظام على المواخير حتى أصيب بمرض سري خطير (الزهري).

وفي العشرين انتابته حالة عصبية جعلته يشعر بالحاجة للبصق باستمرار وقد استمرت هذه العادة ثلاث سنوات تقريبا قضاها بسبب مرضه في عفة جنسية تامة، وبالرغم من عدم وجود صلة بين عملية البصق والعملية الجنسية فإن بصق المريض كان إلى حد ما تعويضا عن القذف المنوي خلال سنوات العفة إذ كان يمثل مخرجًا آليًا للطاقة الجنسية المكبوتة.

وفي ليلة من الليالي عندما كان في الثانية والعشرين بينما كان يرقد نصف متيقظ في الظلام، رأى امرأة طويلة جدا تغطي وجهها وتلبس رداء أبيض، ثم كلمته قائلة إنها جنية ففزع جدا من هذا الشبح وحاول أن

يرسم علامة الصليب ولكن يديه وذراعيه بدا كأن قد أصابهما الشلل، ولكنه رغم ذلك حاول أن يضغط مفتاح النور الذي كان تحت وسادته وحينئذ اختفى الشبح بمجرد إضاءة النور، فلما أفاق المريض من الصدمة وضع الإنجيل تحت الوسادة وأطفأ النور، فلم يكد يفعل ذلك حتى ظهر الشبح مرة أخرى قائلا "إن الإنجيل سوف لا يحميك من غضبي"، ومنذ ذلك اليوم تعود المريض أن ينام ومفتاح النور في يده.

وبعد بضعة أيام طلب من صديق له أن ينام معه إذ أنه كان يخشى أن يفقده الشبح حواسه وربما حياته، وفي أولى زيارات الصديق وآخرها استيقظ الصديق في منتصف الليل يصيح في فزع "لقد رأيت أمرأه طويلة تتشح بالبياض تدخل المنزل بل تدخل الحجرة وتخرج منهادون أن تفتح الباب، وقام مسرعًا وأرتدى ملابسه ورجع إلى منزله في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

وفي الثلاثين تزوج المريض وكانت حياته الزوجية سعيدة ولكن سعادته استمرت أربعة أيام فقط وفي اليوم الخامس تشاجر مع زوجته لسبب تافه ولكن في الليل تمكن من إتمام العملية الجنسية، ومنذ ذلك الحين بدأ يعاني عنة جنسية.

كان عقل المريض الباطن تسيطر عليه قوتان، إحداهما شعور بالنقص سببه الفقر في طفولته وعجز عينه وفشله في امتحان المدرسة وهو في الرابعة عشرة، والقوة الثانية خوفه من الأرواح الشريرة.

وكانت علاقاته الجنسية مع زوجته مرتبطة في عقله الباطن بقصص الجنيات، وهكذا كان عقله الباطن يترجم الفعل الجنسي إلى الاتصال مع الجنية وليس مع زوجته، ومع أنه لم يكن يخشى زوجته فإن غضبها كان يفزعه إذ أن عقله الباطن كان يربط غضبها بغضب الجنيات.

طبع على مطابع نصر مصر

بالإسكندرية

الفهرس